

روايات مصرية للجيب



# أسطورة الرجال الذين لم يعودوا كذلك!

66

لما وراء الطبيعة



Looloo

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

د. محمد خالدي





## المقدمة

مرحبًا بكم ..

أنغام ( شوبرت ) تتبعث من جهاز الكسيت العملاق .. قدح  
من الشيكولاته الساخنة .. هدوء تام هذه الليلة كأن الصالحين  
قد ماتوا كما تمنيت .. لا سعال .. لا صداد .. رائحة عطرة  
تتبعث من عود بخور رفيع تنقل لك أجواء المعابد البوذية في  
( التبت ) .. الرائحة تمتزج بأنغام ( شوبرت ) صانعة مزيجًا  
شمعياً - سمعياً فريداً .. أي إنك قد تصفى لرائحة البخور  
أو تشم الموسيقى ..

جهاز الهاتف قد قرر أن يخرس .. ربما استجاب الله  
لادعائي وتلف هذا الجهاز الوقح أخيراً .. أتذكر ذلك المفكر  
المصري الكبير - د. ( أحمد أمين ) إن لم تخنى الذاكرة -  
الذي قلوا له إن هناك لاختراعاً جديداً اسمه الهاتف ، وهذا  
الاختراع يتيح لمن يريد أن يخاطبه إذا دق له الجرس ..  
فرفض تركيب هذا الاختراع رفضاً باتاً وقال : « إن ما الفارق  
بينى وبين خالتي ؟ كلانا يريد أن الناس فيقرعون له جرساً !! »

يصعب على المرء أن يقدم للمرة الأولى قصة  
للقراء لا يرسمها الفنان الأستاذ (إسماعيل دياب)  
ولا يشرف على تسيقها الأستاذ ( صبحي عبود )  
- عم (صبحي) كما ينادونه في المؤسسة - خاصة  
أنها المرة الأولى منذ وضعت قلمي هنا، لكن هذه  
سنة الحياة وسوف تستمر أردنا أم لم نرد ..  
ليرحم الله الفقيدين العزيزين ويرحمنا يوم يقول  
الرسام الجديد : يحز في نفسي أن أرسم غلاف  
قصة لم يكتبها فلان أو فلان ...



هذه الكلمات تلخص رأيي في هذا الاختراع برغم مرور ما يقرب من ثمانين عامًا عليها ..

يبدو أن البعض كذلك قد قرر أن يخلد لراحة مستحقة .. مفاصلي بخير .. الجيران كفوا عن قتل بعضهم وإلقاء الجثث فوق سقفي ..

هدوء .. صمت .. موسيقا .. رائحة بخور .. سلام نفسي .. راحة بال .. صحة جسدية ..

الخلاصة أنها أمسية لا نطاق !

سأجن لو استمر الأمر على هذا الحال !

لهذا أقرر أن أفسد هذا كله وأحكي لكم قصة جديدة من قصصى ..

الرجال الذين لم يعودوا كذلك .. بهم في كل مكان للأسف في هذه الأيام .. كل الرجال لم يعودوا كذلك ؛ إلى درجة أن الأسطورة الحقيقية هي أن تحكى عن رجال ظلوا كذلك ..

لكن ليس المجاز ما أعنيه .. أنا أتحدث حرفيًا عن رجال لم يعودوا كذلك ..

ربما يبدو الأمر غامضًا .. لكذلك تعرف أنني سأفسر كل شيء .. بعد بضع صفحات يصير الأمر واضحًا .. ربما مملًا كذلك ..

سأحكي القصة لكن أرجو أن تخبروني إذا ما كنت قد حكيتها من قبل .. لقد تكلمت كثيرًا جدًا حتى لم أجد أذكر إن كنت قلت ما قلته أم لا ..

للقصة تكرر حول شيء كهذا ..



## مقدمة

### عزيزى رفعت :

سررت كثيراً لتلقى ذلك الخطاب منك .. من الطريف أن يتلقى المرء خطابات ممن هم مثلك من حين لآخر .. دعك من السبب الأهم الذى يجعلنى أرتاح لمراسلتك ، وهو أنك اتبعت تعليماتى حرفياً فلم تذكر اسمى .. إنك تعرف أن الناس تقع فى هذا الخطأ من حين لآخر .. ويكون رد فعلى على هذا حاسماً .. أنا لا أريد أحداً وليسوف يسعدنى كثيراً التخلص من وجه جديد ..

من ناحية أخرى أنت استعملت المزيج الذى وصفته لك بدقة .. ومن الواضح أن ضغط دمك مرتفع فعلاً .. كثافة الدم فى الحبر الذى كتبت به توحى لى بذلك ..

الأمر تيسر على ما يرام .. أعرف أنك قادم إلى الولايات المتحدة فى الفترة القادمة .. بلذات إلى ( فينتس Phoenix ) أعرف أنك ستبقى هناك يوماً أو اثنين ثم تتجه إلى ( تيمب Tempe ) .. لا بد أنك تقصد جامعة ( أريزونا ) هناك .. فى الحقيقة لم أسمع أن هناك كلية طب ، لكنك أرى بهذا .. تعرف

### روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة ٩

الحقيقة لم أسمع أن هناك كلية طب ، لكنك أرى بهذا .. تعرف أن عليك أن ترتحل بعدها إلى ( دلوير ) " قرب ( مورينسى Morenci ) .. هذا موعد بلا أعذار .. موعد يشبه الموت وعليك أن تلبيه أردت أم لم ترد ..

يبدو لى جدوك لزمنى حافلاً ومزحماً لكثير من اللاتم ، لكنه كذلك شائق .. ألا ترى هذا معى ؟

على كل حال يجب أن نتفق على شيء مهم .. فإنا لن نتصل بك قبل اللقاء وعليك ألا تحاول تحت أية ظروف الاتصال بى بأية وسيلة عدا الخطابات .. لعل كلامى واضح ولا يمكن فهمه بطريقة أخرى ..

أرجو أن أسمع منك أخباراً أفضل فى الفترة القادمة ، لكن خذ الحذر ..

أعرف أن هناك أموراً مقلقة فى ( الأريزونا ) هذه الأيام .. ويبدو أنك محق بصدد هذا المغناطيس الذى يجذبك جذباً نحو المشاكل ..

(★) اسم البلدة وهمى .. لكن ( مورينسى ) حقيقية ..



سوف أحاول مساعدتك ، لكن لا أعد بالكثير .. ما نمت  
قادمًا إلى ( أريزونا ) موطن رعاة البقر فلأقل لك  
ما يقوله هؤلاء في الأقلام : على الرجل أن يقوم بما يجب  
على الرجل أن يقوم به !

شكرًا مطلقًا ..

بإخلاص :

أنت تعرف من ...

★ ★ ★

عزيزتي :

لن أنسى التعليمات .. لا أسماء .. طريقة كتابة الخطاب  
هي هي ..

من الممتع أن يعرف المرء من هي مثلك .. وهو حب  
مستحيل على كل حال .. كل حب في حياتي كان مستحيلًا  
بشكل أو بآخر .. حتى الإنجليزية التي أحبها وتحبني منذ  
عدة عقود لا أستطيع الارتباط بها لأنها تصر على أن  
( الابتعاد يحفظ لكل منا صورته الجميلة عن الآخر ) ..  
وهو منطق لا بأس به لكني أريدها فما الحل ؟

هي مصممة على أن أظل أشيخ وأهرم وأتحول إلى  
مومياء حية قبل أن أتحول إلى مومياء ميتة .. كل هذا حتى  
لا تفسد صورتي الجميلة عندها ! أي منطق هذا !!؟

نعم . معلوماتك دقيقة وهي أدق من معلوماتي كما هو  
واضح ! لم أكن أعرف أنني ذاهب إلى ( مورينسي ) لكن  
عرفت هذه الحقيقة مؤخرًا .. حتى تساءلت ( هل أنا ذاهب  
إلى مورينسي لأنك تريدني هذا ، أم إنك تريدني لأنني  
ذاهب إلى مورينسي ؟ ) ..



( على الرجل أن يقوم بما يجب على الرجل أن يقوم به ) ..  
من قائل هذه العبارة ؟ ( جون واين ) بطل أفلام رعاية البقر  
ورمز أمريكا ؟ تبدو كأنها خرجت من لسانه .. إنها بسيطة  
جدا لكنها بليغة .. كلنا ينسى ذلك ..

حسن .. أنت تعرفين حياتي .. الكثير من الوحدة .. الكثير  
من الخوف .. الكثير من النكريات الأليمة .. الكثير من  
الإحباطات .. الحياة بين كتب الظواهر الغريبة أو بين الكتب  
الطبية .. أمراض الكهولة أجمعها في حماس كأنها طوابع ..  
أعد وجباتي لنفسى وعلى الأرجح أصاب بالاشمزاز وألقيها  
في القمامة ..

لست سعيداً على الإطلاق ، لكنى لست تعسا .. لم أوت جهراً  
عصبياً يسمح لى بتحمل الصخب ولا البشر .. لا أتحمل أن  
يزورنى أستاذ ( عبد الباسط ) مع زوجته البدينة وأطفاله  
المسته .. هو يخلع حذاءه ليتسلى بمداعية أصابع قدميه  
باعتراز كأنه اكتشف فجأة أن له قدماً ، ويوضح لى كم أنه  
مظلوم ولا ينال ما يستحق فى العمل ، وكيف أن درجته  
المالية تسمح له بأن يكون وكيل وزارة .. لكن هذا هو

حالتنا دوماً .. من يحرق نفسه فى العمل لا يظفر بشيء  
ومن ينافق يظفر بكل شيء .. ثم يحمر وجهه ويبدأ فى قذف  
لللعاب من فمه فى وجهى .. والأطفال يتسلون بتمزيق كل  
كتاب أحبه ، وكل مزهريّة أعتر بها ، إلى أن يبول أصغرهم  
على المسجدة لتحمله أمه إلى حوض المطبخ - دائماً  
المطبخ - لتفصل مؤخرته فوق أطباقى .. ثم تعود لتثرثر  
مع زوجتى عن الطريقة المثلى للاحتفاظ بمذاق الصلصة ..  
لا بد من قطرة زيت على السطح .. هذا واضح ..

وفى النهاية يعتذر لى أستاذ ( عبد الباسط ) عن البقاء  
لساعة متأخرة .. للحقيقة أنه يجب أن يعتذر عن تواجده  
مبكراً فى دارى .. وينصرف تاركاً إياى ألعلم جراحى كأتنى  
فرنسا تحاول لم جراحها بعد الغزو النازى ..

حقاً لا أطيق البشر .. للذقة أنا وهم قطبان .. سائب  
وسائب .. شمالى وشمالى ..

شكراً على اهتمامك .. لكن أتمنى ألا تبخلنى على بخطاب  
من آن لآخر .. صحيح أن مساعدى ما زال يؤلمنى من



تجربة الكتابة المتكررة .. هذا الإكسير لا يجعل الدم يتجمد أبداً .. لكنى بحاجة لك لأن كلماتك هي الحكمة مقطرة ..  
أتوقع منك ما هو أكثر من التلميحات .. أتوقع تفصيلات أكثر ..

### بإخلاص

رفعت إسماعيل

★ ★ ★

### عزيزى رفعت :

فى الحقيقة ليس من حقى أن أتكلم أكثر من اللازم ..  
أنت تعرف جيداً أنه ليس من حقنا تقديم معلومات مسخية ،  
لكنى أرجح أنت ستمتوت وحيداً .. لن تتزوج أبداً .. أعتقد  
أنك قبلت هذه الحقيقة وهى ليست بالمرعبة إذا ما فكرت  
فى الأمر بروية .. من يملكون نفلا صبرك وعصبيتك  
وتاريخك المخيف لا يحق لهم أن يعذبوا شخصاً آخر ..

دعك من أن عدم الزواج قد يمنحك تفرداً خاصاً كالرهبان  
وفرسان ( التينجا ) .. قتلوا قديماً إن هؤلاء الفرسان يفقدون  
أى تميز لهم متى تزوجوا . وأعتقد إن هذا ينطبق عليك ..  
نأتى إلى الموضوع التالى .. هذه النصائح قد تكون  
مفيدة لك هناك وقد لا تكون لكن أرجو أن تتذكرها :

- لا تنق فى لية أصوات غريبة تسمعها ليلاً .. لا تفترض  
أنها طبيعية ..

- مقولة ( يحدث للآخرين فقط ) قتهى عهداً .. ربما كان  
من الأفضل أن تتبنى مقولة ( يحدث لى دون سواى ) ..



- لا تنلق في الصداقات القديمة أكثر من اللازم .

- لا تنلق في حب جديد ..

- الراحة لكريمة موجودة هناك لسبب مهم .. لا تنس هذا ..

- لا تنلق في زوجة يموت زوجها ليلة الزفاف ..

- عدواتك القديمة قد تطفو على السطح .. تذكر أين أنت ومن أنت ..

هذا كل ما يوسعي أن أقمه لك ..

أتمنى لك حظاً سعيداً .. لكنى أؤمن بالاحتمية .. أنت بطل  
أسطورة إغريقية سمع مصيره كاملاً من العراقيين ومن  
الجوقة ، لكنه ماض إلى نهايته بسلام وتحد .. ولو كان  
التصح يجدى مع أمثالك لما حدثت أول مغامرة لك ..

شكراً سلفاً ..

بإخلاص :

أنت تعرف من ...

★ ★ ★

عزيزتى :

طبعاً هذه الكلمات تغرينى فعلاً بالتأجيل ، لكن العجلة قد  
دارت .. تذكر حجرت ومخططات طبيعت ومراسلات تمت ..  
ربما لو أخبرتني قبل هذا بعدة أشهر .. ثم إنك بانتظاري في  
النهاية ..

على كل حال أعدك أن أكون حذراً وألا أتدخل في شيء  
لا يخصنى .. ستكون ولداً طيباً .. سوف أكتب لك ثنية ، لكن  
يجب أن أصرحك بأن هذا الورق المذبوغ لا يناسبنى .. أحتاج  
إلى ارتداء قفاز عند الكتابة لأنى أكره منمسه .. ثم راحة  
الحرق عند إرساله ! الخطاب الوحيد الذى يجب أن يحرق  
كى يصل لصاحبه ! دعك من أن ذراعى يؤلمنى كثيراً ..

أما عن خطاباتك فتصلننى بالطريقة المعتادة .. وجدت  
خطابك الأخير تحت الوسادة .. اعتقد أن هذه الطريقة  
ستكون هى مثاقنا الدائم ..

فقط أرجو أن تتذكرى هذا العجوز الأصلع الذى كتب  
عليه أن يولج الكولت حيثما ذهب ..



إن السفر قد تحدد بعد غد .. رحلة طويلة مرهقة هي ..  
 دعك من مقتى الشديد للولايات المتحدة التي لم اعتبرها  
 أرض الأحلام قط .. لكنها مهمة فعلاً .. يمكن للمرء أن  
 يكرهها لكن من المستحيل أن يتجاهلها ..  
 شكراً على كل شيء ..

بإخلاص:

رنعت إسماعيل

## الجزء الأول

### العالم

« بعض الذباب يفضل أن يبيض على جثث في أماكن  
 مغلقة .. لو وجدنا جثة في العراء وعليها بيض هذا الذباب  
 فإن هذا دليل لا يدحض على أن الجثة نقلت للخارج ..  
 والعكس صحيح .. هناك من يقتل رجلاً في الغابة ثم ينقل  
 الجثة إلى بيت مغلق .. هذه أشياء لا تخدع عالم الحشرات  
 العلى .. »

★ ★ ★



## -1-

والآن أقدم لكم الدكتور ( جوزيف شوارتز ) ..

من بين هؤلاء الواقفين في مسرح الجريمة ، يمكن القول أنت لن تبحث كثيراً عن الرجل .. قامة فارعة .. وسيم كمثلي السينما .. قاطع قوى الشخصية . باختصار هو ذلك الرجل الذي يحتبس الكلام في أى مجلس لدى دخوله ، وتتوقف النساء عن التنفس للحظة .. إنه يختلف في كل شيء عن صورة العالم في أذهاننا .. هذا عالم وسيم منظم أتيق ، وهو ما يبدو نوعاً من الخيال العلمى لكنه حقيقى ..

رجل لا يمكن أن تقتحمه العين .. هناك إذ يقف وسط رجال الشرطة ينظر إلى جثة الفتى الراقدة على الأسفلت المبتل ..

إن المطر ينهمر بشكل خفيف في هذه الأمسية ، وهذا يضفى لمسة درامية لا بأس بها على المشهد .. هناك رجلا شرطة من ذوى الكروش .. أكبرهما في حجم البطن هو المأمور ذاته ، وهذا يشبه تقاليد القبائل الإفريقية التى تنتخب لزعمتها صاحب الكرش الأكبر ..

والآن دعنى أقدم لك الجثة بكل فخر ..

هذا الفتى هو ( جيمى شاريتون ) .. وهو شاب أمريكى عادى جداً لا يميزه شيء خاص .. تحيل أخرق .. لم تملأ رأسه قط إلا فكرة ( المرح مع الشسباب ) .. طالب فى المدرسة الثانوية ولا يذكر أحد أنه عاداه من قبل ، فلماذا يقرر أحد أن يقتله الآن بالذات ؟

يلقى المأمور ( روى بيكر ) وهو يدرس أصبحين فى حزام مرلويله الجينز ، وقد ميل القبعة على عينيه فى ( الأظلة ) .. والكرش العملاق يتدلى أمامه مبيناً بوضوح أنه رجل فظ لا يخجل أولاً .. ثانياً هو يريد التظاهر بأنه محترف .. لهذا رسم على وجهه ابتسامة وثقة بينما تدلى السيجار الرفيع من جانب فيه فى استهتار ..

ينظر له د. ( شوارتز ) نظرة جانبية عابرة ..

الفتاة .. عدوه اللدود .. السوقية .. الابتذال ..

كان يرى دوماً صور قتلى حروب المافيا فى المجلات القديمة .. جثة غارقة فى الدماء السوداء تغطى الأرض ( لأن الصور بالأبيض والأسود أو لطفه الأصفر والبني )



وكان يتساعز دوماً عن رجال الشرطة الواقفين في نوع من الفخر . وقد وضعوا أيديهم في خصورهم وهم يضحكون في اعتزاز بأنفس كأن هذه ثمرة إنتاجهم . كأن يرى في هذا مزيجاً من القنطة والتفاخر الطفولي : نحن لا نخاف . نحن شجعان حق . هذا هو عملنا اليومي أيها السذج الحمقى ..

في ( فينكس ) كان بطبعه يفت رجال الشرطة ، لكن عمله كان يحتم أن يختلط بهم كثيراً جداً .. وكان الطرفان من النضج بحيث فهما العلاقة جيداً . هم يكرهونه باعتباره العالم المتحذلق المتعالي ، وهو يفتهم باعتبارهم أدبية المدينة الفظة

بما أننا في بلدة صغيرة ، لم يكن هناك ذلك الشريط الأصفر المتعبد يمنع المرأة من الدنو . ولا تلك الخط الأبيض الشبحي حول النجثة . هذه أشياء يقوم بها رجال المدن الكبرى الأثرياء المدللون . إنها تبدو جميلة في التليفزيون

وانتفت المأمور إلى ( شوارتز ) وقتل له بشيء من الازمئل :

- « هلم .. عملك يا ( دوغ ) .. »

بلهجة من يقول : سنرى هذا المسيرك ..

أخرج ( شوارتز ) محتويات حقيبته ، ثم ثبت العيونات على أنفسه واقتراب أكثر من المشهد .. طبيعة عمله جعلته يرى الكثير من الجثث . لكنه لم يحب كثيراً هذا الجزء

لنا أكثر ورع على ركبتيه جوار الفتى .

هنا تذكر شيئاً مضحكاً . حتى هذه اللحظة لم يعرف كيف مات . لا توجد علامات ظاهرة من أي نوع .

رفع عيناً متسائلة وسأل المأمور :

- « كيف مات ؟ »

- « هذا هو ما نحاول معرفته .. إن لي سبعة عشر علماً كمأمور لكني لم أر شيئاً كهذا قط . لكنك تستطيع مساعدتنا على ما نلن .. أنت طبيب شرعي .. »

بكبرياء قل ( شوارتز ) :

- « خبير في علم الحشرات فعلى . لا أمارس أي شيء يتعلق بتشريح أو تحليل السموم .. أنا عالم حشرات أكثر مني طبيياً .. »



قائها وقد بدأ يدرك المأزق الذي وقع فيه . إن الراحة كريمة فعلاً . وشعر كتنها تتمثل إلى داخله لتتوه هذا هراء تكنه يندرج تحت بند ( تابو Taboo ) الموت المعروف .. للتعامل مع الموت كعوى ..

لحرج الأمور من جيبه ألبوبا صغيراً . ومد يده يمسح تحت لف العمام . يبدو أن هذا نوع من الدهنات نفاذة الراحة المخصصة لعلاج الآلام المزمنة . رائحة الأعشاب الأسيوية تغطي على كل شيء . وقد شعر بمتان لهذه اللعنة ..

#### جنس جوار الجنة وراح يتفحص الأسجة

لا يوجد تمرى . لكن هناك أجزاء تعرت من انحط كونه نوع من انحط . وتحت نسيج انحط كانت تلك اليرقات واضحة جداً . لون الكريم المعيز واحملا منماء بلا أقدام . من المعتاد نسمة لنجث السليمة أن تحتشد هذه حول فتحات الجسم . أم في الحث التي مثلت بالجراح فتفصل أن تكون فيها بطيعة الحث

مد الحفت والنقط بعصه ولسه في زججة صغيرة يحملها ..

سمع أحدهم يتأفف . وهو شيء اعتاده على كل حال لن يفهم رجل الشرطة هؤلاء أبداً . جث متعفة لا بأس . لكن أن توجد فيها يدان فهذه كارثة بالنسبة لهم ..

#### قال المأمور :

« ما رأيك ؟ »

غمغم ( شوارتز ) وهو يعود فحصى الجثة .

« ذببة الفرس Blow fly رتبة ثنائية الأجنحة . بها تلك الذببة الزرقاء اللامعة التي تحيل حياتك جحيماً . يرفاتها تظهر يوماً في الأسجة المتعفة . »

« وهل هذه أسجة متعفة ؟ »

نظر إلى المأمور في غباء . هذا الرجل يمزح أو هو غبي جداً ..

#### قال في برود :

« لو كان أنفك لم يدرك هذه الحقيقة فأنت في مشكلة .. »



## في صبر قال المأمور :

« أكرر لك من المستحيل أن تكون هذه جثة متعطنة ..  
لأن لم تكن هناك أية جثث هنا . دعك من أن لدينا شهوداً  
يمكن أن يؤكدوا أن القتي كان حياً . »

« الجثث تنقل من مكان لآخر .. »

« كل الأدلة التي لدينا تقول إنه قتل هنا . في هذه  
البلقة بالذات . وذبابك هذه لن تكون أدق من معلوماتي .  
لاحظ أن لي سبعة عشر عاماً كمأمور . »

« بدلت لك في هذا .. »

في صبر ابتلع المأمور ريقه ، ثم ألقى في فمه بقطعة  
من ثلاثين وقال :

« ليكن .. اعتبر أنك تكلم جملأ .. »

« لن يرهقني هذا ! »

ابتلع المأمور الإهانة مع اللذنين وريقه ، وقال :

« نيكس هل في كتابك ما يفسر أن تهاجم هذه  
البرقات جثة حديثة الوفاة ؟ »

« مستحيل . يسهل القول أن معلوماتكم خطأ . لكن  
الحقائق العلمية لا تتبدل »

ثم راح يفتش عن مزيد من تلك الحشرات .

في النهاية وجد ضالته .. هذه المرة نحن نتحدث عن  
الخنافس ..

فتح زجاجة أخرى وراح يدرس فيها بعضها من تلك  
الحشرات .. وهو يتكلم بصوت عال :

« هذه برقات مختلفة تماماً .. ثلاثة أزواج من الأرجل .  
إنها برقات خنافس .. »

نظر المأمور إلى الواقفين حوله وقال في غيظ :

« يبدو أنك تتعمد بوقتك هنا . إن الحملان العظمى يحركك  
بينما نحن نغلي .. »

ثم نزع قبعة ، وقال وهو يجفف عرقه :

« لو كنت قد فرغت فباتني أدعوك إلى الشراب .. نريد  
تكلام عن هذا الموضوع بالتفصيل »

★ ★ ★



هناك حقائق كثيرة في (لويس) ، يبدو أنها التسلية  
الوحيدة بالنسبة لعمال المناجم هؤلاء . إنها حياة فظة  
قاسية لهذا الدكتور (شوارتز) أيقا مرفها لدرجة تشير  
تعيظ

طب الأمور قديم من شراب ، ثم قل .

- « معذرة . أنت رجل شريف تحب الصراحة ، لذا  
سأكون بصراحة . بالنسبة لنا أنت نوع من الحوة  
ولو لم يمسك رؤسنا في (فينكس) لتتحقيق لك فكرت  
في سماع رأيك قلبه .. »

قال (شوارتز) باسمنا :

- « هذا يربح جميع الأطراف . بالنسبة لي أنتم رجال  
شرطة محدودي الخبرة والتجربة .. »

- « نحن مندهشون القوة العاشمة حينما تختلف مع  
العقل الراجح . لكننا نحاول أن نصنع فريق .. »

جاءت السقاية للعداء - التي ندها بالمأمور ب (مولي) -  
بشراب . قالت للمأمور شيب عن عدم قنونية اجتماع  
تشرب في وقت العمل . فطلق سلة يدبنة وأردف .

- « لنا القاتون هنا .. هل فهمت ؟ »

نظرت الفتاة بنوع من الإجلال والرهبة إلى العثم الأنيق  
ثم تصرفت ..

التفت المأمور إلى العثم ، وقال :

- « هل لي أن أفهم شيب عن علم الحشرات العدلي هذا ؟ »  
قل (شوارتز) وهو ينظر في أرجاء الحانة .

- « علم الحشرات العدلي Forensic Entomology هو  
ذلك العلم الذي يحاول استخدام الحشرات في التحقيقات  
الجسائية . يمكن القول أن تطبيقه بدأ عملي في (أسكتلندا)  
عام ١٩٣٥ على يد الطبيب البريطاني (ميرنس Mearns)  
الذي حدد الوقت الدقيق لمقتل امرأة وجدت جثتها فمتحللة .  
عنه نحن نعمل في ثلاثة حوالب : الطب الشرعي ذاته .  
والمدينة . وتلوث المواد المحفوظة . ناحية الطب الشرعي  
تتعلق بتعفن الجثث وأنواع الحشرات التي يمكن أن  
تجدها .. الناحية المدنية تتعلق بعضات الحشرات التي يمكن  
أن نعسيها إصابات . أما عن تلوث المواد المحفوظة فنحن  
شهود خطرون بالنسبة لقضايا عدم صلاحية الأغذية



« بالنسبة للجمهور فإن أكثر أجزاء عمثا إثارة هو المتعلق بفحص الجثث . نستخدم ما نعرفه عن تحولات النمو ووزن اليرقات وهذا يحتاج إلى بقة في التحصيل .. لو وصفت اليرقات في محلول حفظ لانكمتت وتغير لونها وأعطينا مؤشرات خاطئة . يجب أن نضعها في ماء مغلي لمدة عشر ثوان قبل أن نغمسها في الإيثانول .. وبستعمال حسابات معقدة تصع درجة حرارة الجو في الاعتبار نستطيع أن نحدد بدقة وقت الوفاة .. هناك أخطاء نعرفها جيدا . مثلا الجثة التي تحتوي الكوكابين في أنسجتها تعجل من نمو اليرقات . الجثة التي دهست بسلعراهم أو للمشحمات تعطل نمو اليرقات . بعض الذباب يفضل أن يبيض على جثث في أماكن مغلقة . لو وجدنا جثة في انعراء وعليها بيض هذا الذباب فإن هذا دليل لا بدحض على أن الجثة نقلت للخارج . والعكس صحيح . هناك من يقتل رجلا في الغابة ثم يقل الجثة إلى بيت مغلق . هذه أشياء لا تحدع عالم التحشرات العظمى . تجميد الجثث يفتضح مغا بسهولة . لأننا لا نجد بيض ولا يرقات .. من الغريب ألا تجد حشرة في جثة مضي على وقتها لسبوع وتركت في انعراء . هذا يضي أنها كانت في مكان مغلق

حتى تم اكتشافها . التحشرات التي تمتص الدم تقدم لنا عينات ممتازة صالحة لتحليلها بتقنيات حمض DNA .. هكذا نعرف من امتصت دماءه بالضبط . دعك من قدرتنا على تحليل السموم في اليرقات لمعرفة أيها كان في جسم النضحية . إن اليرقات تعدنا بعينات السم في وقت يكون فيه من المستحيل أن نجد بعضها في أنسجة المريض . »

### قال المأمور في خيبة أمل :

- « وهذا كل شيء ؟ »

- « ليس تماما . إن كل حالة تحد في حد ذاتها هناك آباء يعقبون أطفالهم بلدغات الزنابير . تضحك ! هناك قصص موثقة ودقيقة جدا عن آباء فعلوا أشياء كهذه على سبيل الحماس التربوي . نحن نثبت هذا لتعاقب هؤلاء الوحوش .. »

كان المأمور يبتسم لكنها ابتسامة ذات مذاق خالص جدا . هو بتذات كان يعرف أكثر ممن سواه أن هناك آباء صلابين مجائنين .. والمصيب بسيط . أنه واحد منهم

يوصل العالم للكلام :



« - هناك مرضى في دور المسنين والمعصحات يهتمون حتى تتعفن جروحهم نحن نثبت هذا . ماذا عن حوادث السيارات الناجمة عن دخول نحلة إلى السيارة ؟ نحلة معك وأنت تقود ' وهوب ' تتزلق السيارة لتتخرج إلى جانب الطريق ولا يفهم أحد سبب الجنون الذي أصابك قبل وفاتك نحن قادرون على إثبات ذلك . دعك من قدرتنا على تحديد المناطق التي مشيت فيها السيارة . إن الحشرات التي انتصفت بثرجاج والرافياتور تدنسنا على مسرات محددة . بعض الحشرات نخبرنا بدقة بالممكن الذي زرع فيه التحشيش الذي تم ضبطه »

ونظر إلى الأمور فوجد هذه النظرة الغبية هذا الرجل لا يفهم شيئا على الإطلاق إنه الخبيز ينقي للكلاب من جديد ..

قال المأمور بعد فترة صمت :

« - يبدو لي أنك محترف حقاً يا ( بوك ) .. هل حصلت على شهادات في هذا ؟ »

هر التعم رأسه بمعنى أن معه عشرات منها . دعك من درجة تكراره في علم الحشرات وأخرى في الطب الشرعي ..

اسم ( شولتر ) يتكرر بآحاح كلما جاءت مسيرة الحشرات الطبية هذه ..

أرشف المأمور وقد جرع جرعة فصر له شرب أبيض رغوي :

« - أنت تعرف لماذا أرسلوك لدينا اليوم ثلاث حالات لغيبه . كلها امتلأت بالحشرات برغم أنه من المستحيل عملياً أن تكون الجثث قد تعفنت .. »  
قال العالم :

« - لدى فكرة عن الموضوع ولهذا نقرر أن أقيم في البلدة عدة أيام يجب فهم سبب هذه الظاهرة »  
من جديد حك المأمور شعره ، وقال مهموماً .

« - هناك مشاكل كثيرة في الجوار : لذا أظن منك أن تبقى حينك مفتوحتين .. »

« - هل من تفاصيل ؟ »

« - لا .. لن أقول شيئاً .. فقط كن حذراً من الغرباء »

هنا تعالى من منضدة قريبة صوت بصرخ :



« ولكنى أكرر لك أن هذا الشراب ساخن ! »

ودوى صوت الساقية العجفاء يفتح ..

« أت جئته لك منذ نصف ساعة ليس هذا ذنبى ! »

هنا أعد المأمور قبعة لرأسه ونظر لمصدر الجلبة .

كان هذا رجلاً لشقر متين النين ، يبدو كبطل من أبطال أفلام الغرب .. لكنه كان متعكر المزاج عصبياً .. واضح أنه صادق ومن طراز صريح جداً . كان المأمور يفهم الرجال بنظرة واحدة وقد أدرك على الفور أنه أمام رجل يمكن أن ترتاح إليه لكنه صمم على أداء دوره المزعج كملاً .. إن الساقية تنظر له مستجدة ..

تجه إلى المنضدة وهو يهز كرسيه العملاق في ثقة . هذه أمور يهمها جيداً ويستمتع بها . إنها بالتأكيد أفضل من الكلام عن التبرقات في الجثث المتعفنة ..

« هل من مشكلة يا سيد ؟ »

قال الرجل الأشقر :

« لقد سمعت مشكلتى .. »

قال المأمور :

« نحن نعيش حياة من التفاهم هنا ، ولا أحب الصراخ في الحانات . إن لى سبعة عشر عاماً كمأمور فى هذه البلدة اللعينة .. »

كان الرجل الجديد يفهم الموقف . رجال الشرطة المحليون هؤلاء لن ينفذوا اتقاوتون أبداً على أهالى بلدتهم .. لغريب مخطئ ومجرم دلقماً ..

قال المأمور وهو يستند الى المنضدة :

« هل معك أوراق ؟ نحن لا نرحب بالتعرباء فى هذه البلدة خاصة هذه الأيام .. »

ذات العبارة تقل منذ أيام رعاة البقر حتى اليوم ويبدو أنهم لن يتخلوا عنها أبداً . تكن الغريب لخرج أوراقه وأنقدها أمام المأمور على المنضدة

« اسمك ( هنرى شيلدون ) ، خبير حسابات ، من ( فلوريدا ) ولماذا أتى بك هنا ؟ »

قال الغريب فى فتور :



« هذا شاتى . إنه موعد مع صديق . وهو أت خلال يومين .. »

لقى المأمور الأوراق على المنضدة ، وقال :

« ليكن حول ألا تثير المتاعب وتسوف تجد أن بلدة مريحة . حزن أن تحدث شغب وتسوف تجدنى خصماً مزعجاً .. »

نظر له الرجل بامتناع ..

« تدخل : ( شوارتز ) فى الحديث غير مدعو وجه كلامه للرجل الأشقر :

« أنت غريب مثلى .. لكن أين نقيم ؟ »

« فى ذلك المونيل الحقيقى فوق محطة البنزين . »

« مصادفة عجيبة أنا أقيم هناك كذلك »

قال المأمور وهو يعود لمقعده :

« عد ( سكروج ) لا غربة فى هذا . هذا هو المكان الوحيد الصالح للإقامة فى بلدة عمال المنجم هذه . وهو مخصص على كل حال لمن يمرون بمساراتهم فيضطرون لقضاء ليلة واحدة . وهل تعرف سبب تقوم صديقتك هذا ؟ »

قال الأشقر :

« إنه ليس أمريكياً إنه طبيب مصرى يزور جامعة ( أريزونا ) الآن إنه فى ( تيمب ) لكنه أت . لا أعرف سبب قدومه إلى هذا الوكر ، لكننا اعتدنا على أن نلتقى كلما جاء إلى الولايات .. »

« مصرى فى ( دلويز ) ؟ هذا عجيب إن الغرباء لن تنتهى فى هذا العتم . لم أسمع قط أن هذه البلدة صارت مزقراً سياحياً .. »

« إذن أنت تسمع الآن .. »

عاد المأمور إلى المنضدة التى كان جالساً إليها ، وأفرغ ما تبقى من شراب فى جوفه مرة واحدة ، ثم قال للعالم :

« أنت وجدت رفيقاً ربما تشين . لربك أن تفتح عينيك جيداً . هذه أيام شريفة .. لوكد لك ذلك »

★ ★ ★

## -2-

- « مأمورهم ثقل الظل .. »

- « يجب أن يتظاهر بأنه قوى الشكيمة . هذه عقدة مزمنة عند رجال الشرطة الريفيين »

ثم اتسم العالم بخبث وأرذف :

.. « أنت تعرف أننا جميعاً كنا في طفولتنا نود أن نصبح رجال شرطة لنحمل المسدس ونضع الشرارة . حسن . لكننا نصبحنا وبداد يرى العالم بشكل مختلف .. فقط المأمور رجل لم ينضج واحتفظ بجهزه لطفولتي لتقيد بالمسدس والشرارة »

منذ البداية صار واضحاً أن خبير الكمبيوتر وعالم الحشرات قد تدهب . اتهما غريبان مثقلان في هذه البلدة الخشنة نوعاً .. والطيور على أشكالها تقع ..

وقد التفتا على متدة الغداء في ذلك الموتيل المتواضع الذي يطر على محطة البازين في لطابق السفلى حانة (كشيريًا صغيرة) كل مكان فيه حلة .. وهناك متجر صغير يبيع مشروبات عربية وحفصات وحلوى . تلك

الأممياء التي لا بد أن يتذكر راكب التسيارة أنها ليست معه أثناء رحلته الطويلة . ثم تجد درجاً يقودك إلى ممر في أول الممر مكتوب استقبال بنام عليه شاب من أصل مكسيكي . لا عمل له إلا أن ينظر لك في كآبة ويناو لك مفتاح غرفتك ..

الفتاة التي تباع الحلوى بتمتجر هي نفسها خادمة الغرف والساقية هنا لو كان شيء كهذا موجوداً .. إنها حسناء نوعاً اسمها ( بتريشيا ) لها طريقة لا مبالية منول ساحرة في حد ذاتها . إنها باردة جداً تعطيك الانطباع بأنها قد تجز رقبتك بتمقص لو دفع لها أحدهم ربع دولار . من الغريب أن لهذا طابف جذاباً فريداً .

صاحب الموتيل والمحطة نفسه عجوز متهاك بدين اسمه ( جيلري ) لكنهم يطلقون عليه ( سكروج ) بسبب بخله . إن اسم ( سكروج ) يتكرر في الثقافة الغربية مقترناً بتايخل من أيام ( ديكنز Dickens ) حتى أيام ( ديزني ) ..

- « المأمور يحب التظاهر بشدة اليأس .. إنها وسالوس للجبروت التقليدية »



- « وموضوع السبعة عشر عامًا .. يحب التظاهر بأنه مخضرم كذلك »

هذا ما يقوله ( شوارتز ) وهو يدخل نفخة تبغ أخرى ، بعدما انتهى من شرح حقائق علم الحشرات للعدي ( هاري شلدون ) الذي لم يفهم شيئاً هو الآخر .. لكنه فعلها برفق وذكاء .. هناك نوع من عدم التفهم الذكي ليس شعراء ( لنا غبي ولن أفهم حرفاً ) بل شعراء ( لنترك هذه الأمور للمختصين ) ..

- « وصاحبك هذا المصري قُتِلَ لي ما عنه ؟ »

- « طبيب بشري . لا أذكر تخصصه الحقيقية . اعتقد أنه يعمل في تخصص أمراض الدم . إنه رجل ذو حيوية علمية ، وصديق عزيز . لكنه كذلك من الذين يؤمنون بعوالم ما وراء الطبيعة يبدو أنه رأى الكثير جداً .. أنا بنفسى واجهت معه بعض المشاكل . »

- « جميل .. لكن ماذا يفعل هنا ؟ »

- « لم يعط تفسيرات . قال إنه مضطر للقيد هنا .. على كل حال صداقتنا تسمح بذلك . إننى أثق فيه . »

قال ( شوارتز ) وهو يشعل نفخة تبغ أخرى :

- « على كل حال .. اعتقد أن إقامتنا هنا ستكون ممتعة لا غنى لأحدنا عن الآخر . إن هذه البلدة تبدو معزلة جمعوا فيه كل الحمقى ومتصلبي الرأى . ولو لم ألقك فلأبد أننى كنت سأفقد عقلى من السأم . لكن مصداقة خبير كمبيوتر رأى شعاعاً تختلف بالتأكد عن مصداقة عامل مسجد لم ير شعاعاً إلا من تحت الأرض . »

الآن ( هاري ) لهذه المجاملة ..

لم يكون انطباعاً بعد عن البلدة . لكنه قدر أنها كئيبة على الأرجح ..

★ ★ ★

هناك منجم نحاس كبير فى ( سان ماتويل ) قرب ( توكسون ) لكن ( ديلوير ) من يهتم بـ ( ديلوير ) ؟ لولا أنها تقع قرب ( مورينسى ) ولها أكبر مناجم النحاس فى ولاية أريزونا لما سمع أحد عنها شيئاً .

مجرد بلدة صغيرة هى بين النهر المالح وحدود المكسيك . إنها تقع على أطراف الولايات المتحدة فى تلك

المناطق الجبلية لوعرة الجنوبية تلك المناطق التي كانت شمل المكسيك يومًا فصلت جنوب الولايات المتحدة : فالولايات المتحدة كانت يومًا مملكة شتمند . وفي كل مرة كانت حرب تنور بينها وبين المكسيك تنهى بأن تقضم قضمة أخرى من تلك الدولة الأصعب هكذا نجد ان الولايات المتحدة ضمت لها الاريزونا عام 1848 وقد شهدت الولاية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر محاولات انفصال جادة قام بها المواطنون الأصليون ، لكنها فشلت جميعًا طبعًا ..

على كل حال سوف تجد أن المكسيك انتقلت انتقامًا بسيطًا هو أن كل شيء هناك له طابع مكسيكي . أعني جالية في الولاية هي الهسبتيون . هذا بصرف النظر عن حقيقة أن الولاية تضم أعلى تجمع من الهنود الأصليين ( نافاجو Navajo ) . الأسماء الإسبانية في كل صوب . أكثر اللغات انتشارًا هي الرومانية الكاثوليكية وهذا شيء غريب في الولايات المتحدة البروتستانتية في أغلبها . ولو رأيت الصحراء في لحظة بعينها ورأيت صبار ( الشولا Cholla ) تحسبت أنك في المكسيك . بعض الوجوه تشعرك بأنك هناك . باختصار : هذه الولاية بالذات تشعرك بأنها لا تنتمي إلى أمريكا بحث

برغم أن منجم النحاس في هذه البلدة قد نفذ تقريبًا . فبته ما زال مخفيًا بإتجاهه .. لا يمكن فهم هذا التناقض إلا إذا عرفنا أن منجم النحاس في ( يوتا Utah ) اعتُبر منتهيًا منذ قرن .. ثم بعد سنوات لكتشف أصحابه أن ما زال به ١٢ ألف طن من النحاس ! السبب هو أن للنحاس في المناجم المنسية ينتجم بتكهرت مكونًا كبريتات النحاس لكن هناك أنواعًا من البكتريا تهوى الكبريت ، وتتغذى على كبريتات النحاس لتأخذ غذاءها وتحرر النحاس . عملية فصل بيولوجية بارعة تقوم بها البكتريا لتعيد الحياة إلى المناجم التي حصنها البشر قد انتهت تمامًا .. كان البشر يتركون في المنجم نحو ٢٠ من خلاته لأنه لا يمكن استخراجها ، فدعت البكتريا لتعيد لهم هذه النسبة . في المكسيك جربوا البكتريا مع كومة نفايات مناجم لا قيمة لها ، فظفروا خلال شهر واحد بـ ٦٥٠ طنًا من النحاس ! فقط بضخ العمال في المنجم الماء القوي بالجرانيم ثم يقومون بشطفه بعد أربعة أيام ليجدوا النحاس وقد انفصل ..

على كل حال سأريحك اليوم ولن أتمادى أكثر . لن أخصص أربع صفحات لإعطائك خلفية جغرافية تاريخية عن



المسطقة ربما في سياق القصة نعرف ما هو أكثر عن (أريزوننا) هذه الولاية المحظوظة . محظوظة ! طبعاً . إنها الولاية المختارة لتحدث فيها وقائع قصتنا اللينة ..

.....

الآن تعال معي إلى الشارع المظلم لنسترقى السمع إلى ما يقوله هؤلاء المراهقون ..

الشباب الذي يملأ للنمش وجهه هو (بوني) ... يبدو لي وسيماً له ملامح مريحة ، لكن ما أعرفه عن المجتمع الأمريكي هو أن هذا الفتى منبوذ اجتماعياً .. تمش وعويذت وجسد هزيل . هذا الممكنين يعانى أقصى معاملة ممكنة ولا شك في هذا ..

الفتى الآخر قوى البنية مقتحم فلا بد أنه ينقى حظاً أحسن في هذا المجتمع العدواني بطبيعته اسم الفتى القوي (هارلسون) هناك فتى ثالث لا مذاق له اعتقد أن اسمه (حويل) هناك فتاة لا تدركنى . لكن من يهتم بأمرى في هذه الحياة ؟ بالنسبة لهم هي نموذج صارخ لتجمل الأمريكي ..

إنهم يقدنون هناك قرب محطة البنزين يتهايمسون يقول الفتى قوى البنية :

- « الأمر واضح أنا طنبت من (جيمى) ألا ينحى بهم .. لكنه فعل »

قال الفتى للنحيل :

- « أنت وضعت الأمر في صورة التحدى . ولم يخلق بعد المراهق الذى يرفض تحدياً .. »

- « أنا لست مراهقاً .. »

- « هذه أهم علامات المراهقة الإصرار القبى على أنت لست كذلك .. »

تقول الفتاة وهى تضع يديها فى خصرها :

- « دعكما من هذا الهراء ثلاث حالات لأشخاص ركثوا تصندوق (هذا تعبير عنى محلى بغنى الموت) يقولون إن الشيطان قد حل بـ (نيلويز) إنهم يتعفون وهم أحياء نحن كنا مع (جيمى شاريتون) قبل هذا بيوم واحد من المستحيل أن يكون قد مات ونطقت جثته بهذه السرعة »

- « يقولون إن هناك رجلاً مهماً جاء من ( فينكس )  
لهذا الغرض .. »

- « هل هو طارد أرواح شريرة ؟ »

- « لا . يجمع حشرات وأشياء من هذا الهراء »

- « لا بد أن هذا مثير .. »

قالت بطريفة منول لا توحى على الإطلاق بأية إثارة في  
الموضوع . الحقيقة أن المراهقين في أمريكا يمرون بحالة  
مثل مزمنة فلا يقدر أي شيء على تحريك مشاعرهم .  
Bore هذه هي الكلمة المحرمة .. كل شيء كنتك .  
المدرسة الفيلم التحفل الأسرة حتى حبيبها إن لم  
يكن وقد بما يكفي تعتبر مملأ هذا جيل رأى كل شيء  
في التليفزيون وجرب كل شيء في النهاية صار من  
المستحيل أن تثير اهتمامه ..

قال الفتى النحيل ( بيلي ) :

- « كما قلت لكم . لقد أراد أن يقترب ليري . لكنه  
احترق من الحكمة ألا نخبر أحداً على الإطلاق بهذا  
الموضوع إن الإغراء سيكون شديداً . »

قالت الفتاة في عصبية :

- « هل تفترض أننا الوحيدون الذين يعرفون السر ؟ »

- « بالتأكيد .. »

وبتلع ريقه ونظر حونه انظلم الممتد إلى ما لا نهاية  
فقط بقعة الضوء المخيفة التي تمثل محطة البنزين لو لم  
تكن هناك لبدا المشهد مظمت أكثر .

ولرف :

- « لا أحد يعلم السر سوف هناك من يعرفه وانضم لهم  
وهناك من يعرفه وهناك من مصنحتنا ألا نخبر أحداً  
أولاً . ومن مصنحتنا أن نتحدث بعدم الاقتراب أكثر »  
دأبت الفتاة شعره الطويل المعتدل على خصرها وقتت .  
- « إذن ! »

- « نعود لبيوتنا وننسى هذه النجبة . لقد تسليت بعض  
الوقت لكن هناك لحظة ما .. »

تبادل الفتى قوى البنية نظرة مع الفتاة وشاعت بممة  
خبيثة ساخرة بعض الشيء في العيون ثم يفت ( بيلي )



أن يلاحظها هما لا يبتليان بشيء من هذا الهراء ..  
 مستصرين على مسئوليتهم لأنهما أشجع ولأنهما يعتبرانه  
 جستا كندجاجة . ولأنهما يبحثان عن المرح ولأنهما  
 يشعران بالتميز . ثلثي القوى التوسيم والحمية معا في  
 النيل بينم لا مكان للضعفاء المصابين بالتمش ..

لو لم تكن قد لاحظت بعد أن القى ( بيلي ) يهيم بالتفاحة  
 وثبت في مشكته اسمها ( ستيرا ) وهي تمثل له عذابا  
 مقيما لا ينتهي . أحيانا يتمنى لو منعت تعود حيتته لهنوتها  
 السابق دعت من أنها لا ترضى أن تجعله يقطب إتهما  
 تبقية دائما على مسافة داتية منها لتشير خيال العشاق  
 لمهمين الحقيقين مثل ( هارلمون ) و ( ستيف جيلمور )

كان قد رأى الكثير من أفلام ترعب في السيفزيون وعرف  
 ر هين - ( هارلمون ) و ( ستيرا ) - مناسان دائما لتبدأ  
 أحداث الفيلم المربعة بهم سوف يمزقهما للممخ تمزيقا  
 أشاء نقنهما في الداخل . لكن هل هناك مسخ حقا في  
 ( موريتسي ) ؟

الآن فقط يتمنى ذلك ..

★ ★ ★

لم يأت ( جوزيف شورتر ) من الفضاء الخارجي  
 وعلى الأرجح لم يخرج من بطن الأرض .

كان عتما بارعا . لكنه زوج قاتل . هذا نمط شائع  
 أكثر من اللزم . ولكنها الحقيقة لا يعرف السبب في  
 فشل زيجته . هل فشلت لأنه كرس حياته كلها من أجل  
 العمل أم هو كرس حياته للعمل لأن زيجته فشلة ؟

بهذا المنطق الأخير فهو مدين لزوجته لأنها استطاعت  
 أن تصنع منه رجلا مرموقا . الكسب المسعورة قد تجعل  
 منك بطلا في العدو . ويبدو أن هذا هو الحال معه

إنه يفشل في درس بصرار أكثر . يفشل فينكب على  
 العمل . يفشل فيسهر بحثا في المرايح . ولأنه منكب على  
 العمل ولأنه ينكب في المرايح تفشل زيجته أكثر

وفي النهاية يدرك أن علاقته بزوجته قد صارت متشابهة  
 معقدة كأنما ألف حبلا قد التف حولها . يحتاج الأمر لعدة  
 أعوام حتى ينجح في فك كل هذه العقد .

في كل مرة يحاول أن يفك عقدة أو عقدتين وهي قد  
 تحاول هذا . لكنهم كذا يدركان أنهما قضيب بضع ساعات

فى عقدة واحدة وأن عشرات العقد تكونت فى هذه  
الثناء لأن الاعتذار قد يسبب المزيد من سوء الفهم !!  
وهذا أدرك وأدركت أن هناك طريقة واحدة لفك العقد  
بشكل جنى : القطع ..

الآن تم النطق وصار هذا الرجل الوسيم حراً لكنه  
لا يرغب البتة فى أن يبدأ علاقة جديدة أو يتزوج ثانية .  
لقد أضده فهم هذا الكائن المعقد : الأنثى واعترف لنفسه  
بأنه يحزن إن أذهب أكل اللحم والخنافس كانت بشعة  
لكنها مفهومة واضحة ..

تأمل وجهه فى المرأة المعقدة فى الحمام

إنه وسيم فعلاً هو يدرك هذا وسيم وناجح . لكنه  
فشل فى الشيء الذى استطاع أبوه أن ينجح فيه .

تهد وحسن إلى قمصنة صغيرة وأعد المجهر وزجاجات  
العينات لقد غمس البيرقات فى ماء مغلى ، ثم وضعها فى  
الإيثانول هذا مهم كي لا تتعفن أو يتغير لونها كما كنا ..  
هكذا أخرج العينات بحث عن مصدر للكهرباء فولج للقبس  
فيه ، ثم مد يده ينقط البيرة الأولى . بركة نيلية للفرس ..

وضعها تحت المجهر وراح يتأملها ثم راح يدون  
قياساتها فى مفكرة صغيرة يحملها جواره على المنصدة  
ترمومتر ومقياس للرطوبة وبالاستعانة بجداول خاصة  
يمكنه قياس عمر هذه البقرة ..

والآن تكلمى يا حلوتى .. قولى كل شيء عن أسرارك .  
كان يكلم البقرة ويبدو أنها استجابت له بعد قليل .

★ ★ ★

( جوتيريز ) تتشاجر مع زوجته ..

هذا يحدث كثيراً على كل حال ماذا تنتظر من رجل  
فقير عاجز يمر بكل هذه المشاكل ؟ عندما تتشاجر فى العمل  
تطرد . عندما تتشاجر فى الشارع تضرب . عندما تتشاجر  
مع الأمور بسجنتك . هكذا لا يعود للمرأة من موضع  
تتشاجر فيه إلا بيته .. مع زوجته الحبيبة

إنه يعيش فى وكر قذر .. أقدر مكان يمكن أن تتصوره  
وهذا فى حد ذاته كفى بأن يجعل الحياة تشبه الجحيم .  
لا .. إنها الجحيم بعينه ..



ليس في الأمر جديد أن إليها حياة الفقراء في كل  
مكن وزمن . لكن في الدول الغربية تصاف لغة الكحول  
إلى هذا كله . وهكذا تضيف إلى النار المشتعلة أسلحة  
جرعة لا يمس بها من ذلك نساء الذين مريع الانتهاج  
هكذا يلقوا نرجس لتحكم في أنفسهم هكذا يضربون  
روحهم وضميرهم هكذا بصرحون ويركنون ويمسبون  
وينسون . ثم يقبهم الإلهك فيرتعون على الفراش حتى  
اليوم التالي ..

هل سمعت انشأتهم ؟ من حسن حظك أنها بالإسبانية  
( جوتيريز ) كما يوحي الاسم مكسيكي الأصل إن أسرته  
ها منذ زمن محقق يعمل في المنجم ولا يكسب ما  
يكفي لإطعام كل هذه الأفواه . لهذا ينفق كل ما يكسبه على  
الشرب لأن المعرفة خامرة على كل حال .

نقد تشاجر مع ( مريا ) وأوسعها ضرباً لها أسنان  
قوية يمكن أن تقلى عدة ضربات فلا تنهشم . لها شعر  
أسود جميل طويل يمكنه أن يجرف منه على سبيل التحية  
لرجال الكهف ..

كانت جميلة يوماً ما لكن الفقر والعذاب جعلها أقرب إلى  
وحش آدمي يتخصص من بين الأحراش عنيث هذا وجهه  
مناسب جداً لتوجيه الكمت . ربما يتمسك الطفل بسر أويك  
في رعب . عندها يمكنك أن توجه له ركلة  
كل هذا الصراخ والسباب ثم تكتشف أن الدار ختقة  
لا تطلق ..

تخرج إلى العراء الضلام السجوم من بعيد تتشح  
الجبل بسمول . وهذا الجو الذي يطلقون عليه ( الصيف  
الهندي ) الجو الذي يعرفه الأمريكيين جيداً وهو كذلك  
في عرفهم رمز لكل شيء بصير هذب قرب نهائيه

ترتمي على الأرض ووجهك نحو السماء الزجاجة  
للحراثة تتزلق من بين أنفك تنظر للسماء وتصحك .  
تقضي بصوت عال كي لا تسمع صوت المرأة والطفل  
الباكين داخل الكوخ ..

أنت فقير يا ( جوتيريز ) لكك يوم تموت لن تذهب للجنة  
فأنت رجل فظ سكير . لو دخلت أنت الجنة فهي مساحة لأي  
شخص آخر . كلا يا صاحبي .. إن الجحيم ينتظرك لا شك  
في هذا ..

تصيب عن الوعي ثم تفتح عينيك لترى ذات الليل  
البهيم والنحوم وتلك الأضواء من بعيد

( باتج ! باتج ! )

غريب صوت الطبول هذا ..

تسمعه في كل ليلة منذ شهر لكنك لا تعرف كنهه .. من  
الغريب أنه يأتي من موضع ما في وعيك . كان هناك دوماً  
كخفية لتياتي السابقة . لكنك الآن تتعامل عن مصدره ..

تحلم من جديد ..

العرى السفلى المصعد بهبوط ومك رفلك . فمنجم  
العجوز الذي لم يبق فيه الكثير .. الرطوبة والإضاءة  
المترقصة من المصابيح المعطاة .. كنت تنزلق نحو الجحيم ..

ثم

هذا الشعور الغريب .. هذا الوهن

أنت لا تحلم . بالفعل أنت تشعر بوهن .. لكنك لا تعرف  
السبب ..

تعد يدك تتحسس عنقك دون أن تفتح عينيك . هذا الأسم  
الحارق في الرقبة .. أنت راقد على ظهرك خارج الكوخ  
مغمض العينين . لكنك تشعر بما يحدث

شيء ما ينصق فمه بعنقك ويمتص الدماء !

( باتج ! باتج ! )

هذا هراء .. لا يوجد شيء كهذا ..

لكنك تشعر به وتعرف أنه حقيقي . تفتح عينيك لترى  
الليل البهيم والظلام والجبال من بعيد . لكن شيئاً ما يحجب  
تلك الجبال ..

إنه الظل .. هناك من يجثم فوقك ويشرب الدم في بهم .  
ولت تردك ضعفاً .. تضعف مع الدور الذي سببه لكحول  
تك .. أضف لهذا شيئاً لا يمكن تفسيره .. كأن هذا الشيء  
قد حقت بمادة مخدرة تجعلك عاجزاً عن الصراخ

الماتل الأحمر يتسرب إلى ذلك الشيء .

لا تستطيع الصراخ .. فقط يخطر لك خاطر مضحك هو  
أن دمك سوف يسمم هذا الأحق بالتأكيد .. هذا مضحك .



تصور أن ..

فيم كنت تفكر ؟ لقد نسيت ..

لم يعد هناك من واقع . الحياة كلها قطعة من زجاج شفاف أسود ..

والضلام يتزايد معه يتلاشى إيراكك لكيوننت جربت هذا الشعور مرارا لكنها المرة الأخيرة كما هو واضح ..

كـ

هو

واضح ...

★ ★ ★

-3-

القص أيضا يشعر بقلق ..

الأب ( ميلروي ) الذي سئم قلة المترددين على كنيسة بدأ يشعر بشيء مقلق هذه الأيام . كان ينتمي لجماعة المصدقين ، لذا كان عليه أن يواجه حقيقة أن حظ كنيسة ضعيف في هذه الولاية . وقد اعتاد أن يقف في شرفة بيته المظلمة على الحديقة وينتدن لنفسه بصوت خفيض أغنية قديمة من أغاني البيتلز :

« هؤلاء الناس الوحيدون من أين يأتون ؟ ولأين ينتمون ؟ »

« ( إلياتور رجبى ) . تجمع الأرز في الكنيسة حيث كن الزفاف .. »

تقف في النافذة ..

تنهس وجهها الذي تحتفظ به في جرة جوار الباب .

الأب ( ماكزى ) يكتب كنيمات موعظة لن يسمعها أحد أبداً .. فلا أحد يدنو منه ..

نظر إليه وهو يرتج جواربه فى الليل حيث لا أحد هناك ..

( لينور رجبى ) ماتت فى الكنيسة ودفنت ومعها دفن اسمها ..

الأب ( ماكزى ) ينفذ الفلر عن يديه وهو يفرق قبرها .

فلم يتم خلاص أحد ..

هؤلاء الناس الوحيدون .. من أين يكون ؟ ولأين ينتمون ؟

كان يشعر بأنه الأب ( ماكزى ) ذاته .. ولطالما جنس بالفلر يرتج جواربه فى الليل ( حيث لا أحد هناك ) ..

كان يحب مراقبة الطيور ؛ ولذا أعد لها أكثر من موضع للمزب فى حديقته .. ثم تعلم أن يتولى وراء ستار النخلة ويراقبها بالمسظار المقرب . لعل هذه تسليته للوحيدة . لكنه فى الفترة الأخيرة لاحظ أنها تقل بشكل مستمر .. دعك من المرة التى وجد فيها طمرا ممزقا فى حديقته بالذات ..

إنها القطة .. ربما ..

لكن هذا لم يمنعه من الدهشة ؛ لأن القطة لا تقص ضحاياها إلى نصفين كأنما تفعل هذا بمقص حاد ..

ثم بدأ يجد جثث القطة ذاتها ..

قطط ممزقة إلى نصفين فى فناء حديقته .. لا أحد يفعل هذا بكامل قواه العقبية . لكن هناك احتمالا آخر . إنه يعرف أساليب الشيطانيين Satanics . جثث القطة كانت دوماً من الوصفات المفضلة لدى هؤلاء . جثث القطة للمطقة المسلوخة ..

هل يعنى هذا أن هناك من يمارس شيئا كهذا فى بلدته بالذات ؟! هذا مخيف ..

إن هذه الفكرة تشعره بالاختلال ..

لقد حمل أمننته وشكوكه إلى الأمور . لكن هذا الأخير لم يبد منهشاً .. يبدو أنه تلقى بعض الشكاوى وبالنسبة له بدأ نفس متأحراً جداً وآخر من يضم

سأله الأب ( مولوى ) فى رعب :

« هل تعتقد ما اعتقده ؟ »



### قال لمامور بطريقته اللفظة :

« لا اعرف يقينا ما تعقده أنت . لكنى اعرف شيئا واحد . ثمة شيء قذر يجرى فى هذه البلدة . هناك جثث خفية من الدم أو بدت فى التدويد . هناك كلام عن شبيب يعرسلون أشياء غريبة . إن لى سبعة عشر عمدا كمامور لكنى لم أر شبيب كهذا قط . »

ثم وضع يده على كتف النفس ، وقف فى مرج :

« لو كنت تؤمن بالمواعاة النهائية مع الشيطان أياها الأب فنتها بالآلا يبدو أنك ستعيش لتراها »

لكن الأب لم يشعر بأدى رغبة فى الضحك لدى سماع هذه الكلمات . ثمة شعور ما يراوده بالنهاية .. النهاية التى يشعر بها الجاسون فى المينما فيجمعون حاجياتهم ويرتفع دوى مفعداهم . النهاية التى تجعل للتلاميذ يتململون فى نهاية الحصاة قبل أن يسمعوا الجرس .

انفصة تدنو من نهيتها . لكن أية قصة ؟

لا يستطيع أن يخمن ..

★ ★ ★

بالنسبة لأستاذ ( رناردسون ) كان هذا الجو الذى يطلقون عليه ( الصيف الهندى ) هو أجمل ما مر به فى حياته ..

( الصيف الهندى ) عندما تدنو الأمور من نهايتها تصير لطف وأحف . وهذا هو ما يعنونه بهذا المصطلح

انه معلم الهندة . وهو يؤمن بأن التدريس أهم مهمة فى العالم . هذا صحيح ، لو كان يتعامل مع أرض أكثر خصوبة ونو قليلا . لكنه يتعامل مع أرض جديدة قاحلة هى تلك المجموعة من الصبية بدءا من المتجم . لا يمكن أن تثبت بذرة فى هذا الوسط القاحل . مستقبلهم غير محدد وعلى الأرجح لن يكون أحدهم شيئا إلا ما كنه أبوه يصور عامل مناجم هو الآخر ..

فتية شديدا انعططة وقحون لا يهتمون بشيء . ولم تكن علاقته بهم طيبة . كان صغير الحجم واهن الصوت وبالتأكيد لم يكن أفضل من يستطيع السيطرة على هذه الوحوش . لذا لجأ إلى الحيلة البسيطة المعروفة : جعل منهم أصدقاءه . كان يمارحهم ويتسلط معهم . واتخذ من لشربهم وأقوامهم صديقا حميما له ..

هكذا على الأقل أمن شرهم ، لكنه كان عاجزاً عن تعليمهم أى شيء ..

منذ أسبوع أبدي امتعاضه لأن رائحة كريهة تدخل  
الفصل من السادة ، فقال له أحدهم ضاحكاً :

- « هذه الرائحة خير من رائحتك على الأقل ، ربما كان  
من الأفضل أن تعاد هذه ! »

ولم يكن كلامه بعيداً عن الحقيقة ..

كان هناك طلبة واعدون نوعاً مثل ( بيلي ) .. فتى ذكى  
من الطراز المفضوب عليه فى الصف . ( هارلسون ) نموذج  
للبنطجى قوى قسبة الذى يروق للفتيات ويمكنك النظر بحمليته ،  
لذا لا تحاول أن تستفزه . ( جيمى شاريتون ) كان خنزيراً  
وغداً أحياناً بجيد الموت اتقاء ضحايا .. أحياناً يعمل  
الموت مثل العصفور الذى يتنقط حبوب القمح من بين  
الأعشب وأحياناً يتنقط للديدان والامتاضة . على الأقل  
بشمسية نفى لمذكور عمله لموت كفة ضرة وتحص منه .

فى الصباح كان مقعد الفتى خويناً ، ودخل أحدهم من  
الباب ليصبح :

- « لقد وجدوا جثة ( جيمى شاريتون ) ليلة أمس . لقد  
مات ! الشرطة كتبت هناك ! »

كان أغرب الطلبة يعرف ما حدث .. بكت فنتان . لكن  
الأستاذ لم يكن قد سمع شيئاً عن هذا . إن اليلة صغيرة  
لكنه كان أميل إلى العزلة . ولم يكن يسهر حيث توجد  
الأخبار ..

- « مات ! كيف ؟ »

- « لم يعرفوا بعد . لا توجد جروح فى جسده . »

شعر برجفة تغمر جسده . أمس فقط كان الفتى بجنس  
ها ويمزح مزاحاً وقحاً . كان ملء السمع والبصر . كان  
موجوداً جداً لو شئت أدقة . فى كل مرة يتكرر فيها هذا  
الموقف نشعر بالرهبة كأنها المرة الأولى

وكان قد كون نظرية بسيطة عن مسبب وفاة الفتى  
هناك مخدرات فى هذه البندة . وكل مرأى لميكى قد  
جربها فى وقت ما . الجرعات الرائدة تغمر كل شيء ..

حياة لا تضاق حرب مستمرة فى عالم من البطولية  
والمدمنين ، وكل هذا بلا ثمن ما ..



لكن عندما يعود لإداره كانت حياته تختلف كثيراً ويؤمن بأنه محظوظ لأن (كلاريس) كانت هناك لمراته الرقيقة الحسنة التي تراه أهم رجل في العالم

(كلاريسا) ذات الشعر الأسود والعينين اللوحتين والضحكة المشرقة والرائحة العطرة إنها تعمل في المتجر الصغير الموجود في شارع الرئيس ، لكنها تعود لتبيت فيه دائماً

(كلاريسا) الحنون مشككتها أنها تريد أن تكون أما هذا النوع من النساء هو كتلة من الأمومة المجمدة التي تنتظر الفرصة لتسبغ حنتها على طفل وهو يرغب في إرجاء الإجاب بعض الوقت ، فهو في الخامسة والثلاثين ما زال أمامه بعض الوقت ليستمتع بحياته قبل أن يفكر في تعقيد حياته بطفل يعوى ليلاً . لكنه يعرف حاجتها المنحة إنها أم حتى لو لم تنجب منتظلاً أما حتى لو فقدت رحمها منتظلاً أما ..

قالت له وهي تعد المشاء :

« قلادة تمر بطرود غريبة (جيمي شلرington) ست . ثم এমন منجم يدعى (جوتيريز) أسمع هذه الأخبار في المتجر لأن لكل يثرثر .. »

ثم أضافت وهي تتخذ مكانها على المنضدة :

« هناك غريب حسن المظهر . غريبان حسنا المظهر . يبدو أن أحدهما عالم مهم من (فينكس) .

قال في امتعاض وهو يبتلع البوظة الممبوكة لطبقه :  
« نحن لا نحتاج إلى علماء . نحتاج إلى رجل شرطة حقيقيين .. بدلاً من هذا الخنزير البدين الذي يتظاهر بفهم كل شيء .. »

« ليس رجلاً سيئاً لهذا الحد يبدو لي محترفاً .. »

« نعم محترف في التظاهر بالاحتراف لكن أكبر خبرة مرت به لا تريد على مطاردة الصبية اللذين هشموا زجاج المتجر بالحجارة .. »

ثم فكر في جشع ، وقال :

« سوف يكون من الممتع لو استمر وباء القتل هذا حتى نفرغ من باقي طلاب الصف . »

« ومن قال إنه قتل ؟ »

نظر لها وابتمسم ..

« هل تعتقدون أن كل هؤلاء ماتوا بتصادفة ؟ »

وقال لنفسه من السهل أن يزل لسان القاتل أمام المحققين . هذا الخطأ الشهير . أنا لم أقتل ( جاك ) أيها المفتش . ومن قال لك إنه قتل ؟ إذن أنت القاتل ..

لو كانت تمتحنه فقد وقع في الفخ ..

( هتج ! هتج ! )

من أين يأتي صوت الطول العجيب هذا ؟

★ ★ ★

## -4-

في الليل عند الجسر القديم ..

يمكنك أن تتخيل المشهد بسهولة . لكن عليك أن تضيف إليه كميات هائلة من الظلام والأضواء الخافتة . أولا هناك المنجم . إنه من معالم البلدة كما نعرف .. المدخل الرئيس له الذي يقود إلى المصعد . هناك أنهر الجاف الذي تحول إلى أخود عتيق .. يبدو أنه كن يصب في المنضم في نهر ( جيلا ) الذي يصب بدوره في نهر ( كولورادو Colorado ) . وهناك الجسر الذي يصل بين ضفة ذلك النهر ومدخل المنجم

خلف المنجم يوجد عدد من القبب المنظمة التي تبدو كصليق نيام . إنها أكواخ هنود ( النافاهو ) وأكثرها مهجور

هناك تلك المساحة الشاسعة التي تقع أمام المنجم وهي تذكرك بأجواء الغرب القديمة . يسهل أن ترى عربة قديمة ورجالا يصفون الماء عبر الغرابيل بحثا عن الذهب . يسهل أن ترى الهنود الحمر ومركبة بتمسيدات

هذا مشهد يمكنك تخيله . لكنك لن تراه بالتأكيد في هذا الليل البهيم يمكنك فقط أن ترى أول الرحال وهو

يقترّب إن الصبار في كل مكان لهذا يسهل عليك في البداية أن تخلط بين الرجل وأحد هذه النباتات صبار ( الساجارو Saguaro ) العلق لا يصعب عليك أن تتخيله رجلاً يقف ونراعه إلى جانبه ..

هناك مشعل علق يتوهج حيث غرس في الأرض وسط المسحة الخلية . هو مصدر لظل الغمضة التي كثرت ههنا ..

الرجل يقترّب من المشعل ويقف ..

ومن بعد يقترّب الرجل الآخر المشككة مع هذه الظل أنت لا تبين أي وجه من الوجوه . فقط ترى القامات وتترك أنها فارعة قوية .

من بعد يقترّب رجل آخرون لكن فيهم شيئاً يحيرني .. هل نراه ؟ رأس هذا الرجل لا تبدو متنسبة مع حجم جسده . فيها كبيرة جداً لو لعل رقصة لظل هي ما يوحى لي بذلك .. ثمة فتيت يقترّب .. دائرة تتكون حول المشعل لمترقص . ثم دائرة أخرى تشترك معها في المركز ..

إنهم يرفعون أيديهم إلى جوانب الأجساد . إن أصابعهم تتلامس ..

لا بد أن عددهم لا يقل عن أربعين .. والمفرع في الأمر أن كلمة واحدة لم يتم تبادلها منذ ربع ساعة . هؤلاء قوم يعرفون جيداً ما يفعلون وفعلوه مراراً .

بدا بعد قليل أن أحداً لن يأتي . لذا صلا الصمت برهة فقط ظلت الأيدي متلامسة ثم فجأة

تفجر الجمع في أغرب رقصة يمكن تصورها إنها تبدأ بطينة وبصاحبها إيقاع خفت أقرب إلى ( باتج ' باتج ! ) ليست طبلة بالصميط بل هي أقرب إلى صوت قرعات على عتبة معنوية ..

قرعوس تتملن نوع من ( الأوغوريا ) يضر الجميع . ثم يتصارع الإيقاع ببطء ..

الآن تفتح الدائرة الخارجية ببطء فتلتحق بها الدائرة الداخلية ثم تلتحق الدائرة الداخلية ويبقى الفراغ بين الدائرتين واسفاً .. يسمح بأن تتفصل فتاة وتركض ركضاً بين الدائرتين ..

لو سمحت لنفسى بتقريب المشهد لقلت إنه يشبه لعبة ( القديب المحرلوى ) التي كنا نلعبها في المدرسة لا يتقصها



إلا أن تتلقى الفتاة بمسند وراء أحد الجالسين وتعود لموضعها قبل أن يلحق بها ..

لكن هذا لا يحدث لحسن الحظ وإلا بدا الأمر سخيفاً . فقط هي تتم الدورة ثم تعود لمكانها وتخرج فتاة أخرى .

★ ★ ★

وهناك عند فتحة النجم المفلقة في هذه الساعة يمكنك أن تتخذ موضعاً بانورامياً ممتازاً يشبه موضع ( نابليون ) في موقعة ( أوسترليتز ) يمكنك أن تراقب ما يحدث من عل وأنت ستم على بطيك تحاول ألا تتحرك أو ترفع رأسك فإراء أحدهم ..

« هل ما زالت معك بعض الحلوى ؟ »

« أخفض صوتك .. »

« الطقس بارد . أن بحاجة إلى السكر . »

« هاك . ولكن حاول ألا تقضم بصوت عل .. »

« هل تعرفين أحدهم ؟ »

من الصعب في بلدة يبنغ تعدادها أربعمئة شخص ألا تعرف الجميع . في مصر لا ننظر بجدية إلى تعداد مكان بقل عن ثلاثين ألفاً ، لكن المصاحبات شاسعة بالتفعل في الولايات المتحدة . وهناك بلاد كاملة لا يتجاوز عدد سكانها أفراد دفعتك في الكلية .

لكن ( ستندرا ) بالتفعل لم تستطع تحديد أي اسم .. إنه انظلام . إنها المصافاة

عطر ( ستندرا ) يفعم رنتيه .. أربعون شخصاً في بلدة تعدادها أربعمئة .. احتمال واحد في العشرة أن يكون أحد هؤلاء الواقفين زمينها في المدرسة . ربما هم جميعاً .. لكنها لا تستطيع أن تحدد ..

كان ( هارلمون ) يرتجف من البرد فعلاً .

قالت له وهي تمسك بيده :

« يا لك من ممكن .. هلم أمسك يدي .. إنها دافئة »

ضايقه هذا كثيراً .. المفترض أن يمنحها هو الدفء والاطمئنان لكن العكس ما حدث ..

كنا قد فعلنا ما توقعه ( بيلي ) بالتضبط بلا زيادة ولا نقصان . عندما تفرق التبايقون تسبلاً إلى ذات الموضوع ليريا ذات السر لدى رأياه منذ أيام في تلك الليلة .. عندما تعاهد الأصدقاء على الصمت ..

إن المشهد الرهيب قادم الآن ..

يعرفن هذا لأنهما رأياه في تلك الليلة . وهو مسبب العنكة

( جيمس ) كان مندفعاً أحرق ، وقد قال إنه لم يخف لدى روية المشهد تحداه ( هارلسون ) علانية . قال له إنه لن يجسر على أن يعود في ليلة أخرى ليرى ذات الشيء .

كانت هذه هي نقطة اللاعودة أن تتحدى مراراً معناه أنت تأمره بالشيء الذي تتحداه به . وقد أعلن ( جيمس ) في ثقة أنه سيعود ليرى أفضل ..

كانت المناقشات الحامية قد دارت بينهم حول حقيقة هذا المشهد ..

- « كن ( متمسون Manson ) زعيم التهيبز يصطحب أتباعه إلى واد مقفر حيث يسلبهم عقولهم بالمخدرات . ويقنعهم بأنه المسيح .. »

روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة ٧٣

- « نحن لم نر شخصاً ينتفون حوله . »

.. « لكننا - بالله عليك - ندرك يقيناً أن ما رأيناه كان ظفوعاً دينية . »

- « ولماذا ؟ »

- « لأن الناس لا يتصرفون بهذه الكيفية في سبيل المرح . هذا ليس حفلاً ختوباً لو فهمت ما أعنيه »

كانوا يعرفون أن هذا حقيقي . التجمع النيلي والرقصة والتموض .. كل هذا يوحى بجماعة دينية سرية . هذا هو أقرب تفسير لما حدث . لكن من هم " أعبدة شيطان ؟ !

- « عبدة للشيطان يخفون صليباً مكتوباً ويرسمون نجمة خماسية .. »

- « هذا ما تراه في السينما يا أحمق . لا يوجد دليل واحد على أن هذا يحدث فعلاً .. »

ثم جاء السؤال الأكبر :

- « هل نبلغ للكبار ؟ »

ساد الصمت . كن من الواضح أنهم لن يفعلوا ذلك ..  
إن هذا أولاً قد يجلب عليهم العقاب .. ثانياً هم لا يعرفون  
حقاً ما يحدث وقد يسيبون الأذى للبعض . دعك من حقيقة  
أنهم قد يجدون هذا مسلياً وقد ينضمون له يوماً ما .

★ ★ ★

Bore .. هذه هي الكلمة السحرية . كل شيء كذلك ..  
المدرسة .. الفيلم .. الحقل .. الأسرة ..

★ ★ ★

لكن ( جيمس ) فعلها ..

من المؤكد أنه فعلها . وفي اليوم التالي كانت تلك الجنة  
الرائدة تحت المطر الخفيف . لم يقل أحد كيف قتل إن كان  
قد قتل . لكن الفتية عرفوا أنه على الأرجح مات لأنه  
عرف أكثر من اللازم ..

وبرغم هذا .. ربما من أجل هذا دعوا ..

لقد اكتسب المكان أهمية خاصة . صار مشيراً إلى درجة  
يصعب أن تناقشها . وهو ذات السبب الذي يدفعنا دفعا إلى  
إلقاء نظرة على وجه جنة . هذه النظرة لا نريدها . ربما

تسير لشعنا زائنا أو تطاردنا للأبد . لكننا عاجزون عن منع  
نفسنا من ذلك .

( هارلسون ) هو الفتى القوي الذي لا يخاف شيئاً  
يصحب فتاته إلى ذات الموضوع في الوقت الذي يصل فيه  
أول انقسامين . لذات السبب يحب الأمريكيون سينا  
السيارات Drive in . تلك الدور لا تعرض إلا أفلام  
الوحوش من الدرجة العاشرة . وهذا يتيح للفتى أن  
يصطحب فتاته ويظهر لها كم هو قوي بارع . طبعا هي  
غير خائفة فعلاً بل تدعى ذلك ، وهو لا يواجه خطراً حقيقياً  
لكنه يتظاهر بذلك . إلا أن سينما السيارات لا وجود لها في  
بلدة متسية كهذه ..

هو يشعر الآن بقلق حقيقى . ربما هو البرد . ربما هو  
ذلك الإبرك لأن ما يحدث أكبر من دعائه .. إنه شيء  
شيطاني غمض يجتاح البلدة . لا يعرف كنهه لكنه قوى  
جداً ..

قال لها :

« فستعد »



قلت في رفق :

- « بالتعكس . أرى أن أروع ما في الموضوع يحدث الآن .. »

لم يكن هناك شيء رائع ربما يحدث المشهد الرهيب بعد قليل لكنه فجأة يشعر بأنه و هن حذا متعب جدا لم يعترف بأنه حاتف إنما أفتح نفسه أن أباه سيحطم أنفه لو تحر أكثر من هذا وكان أبوه من هذا الطراز فعلا

- « الآن نرحل .. »

- « بن هي البداية . لن أنتظر الفيلم ساعتين ثم أفارق دار السينما عندما يبدأ .. »

صمت وأحسن بيدها تعصر يده ثم دنت منه أكثر . شعرها يلمس وجهه . عطرها اثنوم .. يا لهذا الجو ! إنهم يطلقون عليه الصيف الهندي هنا عندما تصير الأشياء أجمل قرب نهايتها ..

أغمض عينيه إنها الأنوثة الخائذة تظله من شمس الواقع الحارقة ربما ليس من العار أن تتشمس الأمن لدى فدة ، ففي البديهة كنت تتشمس الأمن من امرأة . وكنت هي

كن شيء لك .. تمنحك الأمن والغذاء والدفء وتبدل كقولك المتسخة ..

وهنا حدث شيء غريب ..

أدرك أن ( ساندرا ) تثبت على الأرض بقوة كأنها أحد المصارعين ..

وأدرك في تلك اللحظة الفاصلة بين النعاس واليقظة . بين الحياة والموت .. بين لفظة والفهم التام المرعب ..

أدرك أنها تغرس أسناتها في حنجرته

وتفضم ...

★ ★ ★

## -5-

جاء الاستدعاء الثاني لـ ( شوارتز ) بينما كان عائداً مع ( هارى شينور ) للموتيل بعد جولة صياحية .

كانت محطة السزبن تبدو مريبة لان سيارة شرطة كانت تقف هناك . وجوار السيارة كان يقف نائب مأمور من انطون المألوف فى الأفلام الأمريكية . يبدو أنهم يصنعونهم بنسبة هك . متلق يصع نظرة سوداء تعب دور امرأة .. محدود الذكاء ومتراخ ..

كان يترنر مع الحسناء ( باتريشيا ) التى غادرت المتجر ووقفت معه . وعندما رأى ( شوارتز ) واقفاً نلاده ، وأشار بترأخ إلى اتجاه ما :

- « يريدونك .. »

- « من الذين يريدوننى ؟ »

بصق اللان الذى كان يلوكة ، وقال :

- « المأمور طبعاً .. من سواه ؟ »

روايات مصرية للجيب ما وراء الطبيعة ٧٩

نظر ( شوارتز ) إلى ( هارى ) مستغيباً فهم هذا الأخير بأن يرافقه إلى السيارة . لكن النائب قتل ساخرًا -

- « هذه ليست نزهة فى الحلاء لو كنت تفهم ما أعنيه .. لا يمكنك أن تدعو أصدقاءك »

أدرك ( هارى ) أن الفتى معه حق ، دعك من ان بداية علاقته بالمأمور لا توحى بخير . ونر يتحمس هذا لقدمه لو يرقص طرباً لذا أعلن أنه يفضل البقاء

كان باب السيارة مفتوحاً فالتفتى ( شوارتز ) حسده فيه وتساءل :

- « هل لحضر الوقتى معى ؟ »

قال الفتى وهو يركب بدوره خلف عجلة القيادة .

- « لم يحدد شيئاً .. هات كل شيء .. »

لكن ( شوارتز ) كان يعرف أن استدعاءه على الأرجح بسبب جريمة جديدة . جريمة من الطراز الذى تمثلن فيه الجثث بتعدد بلا تفسير واضح . وقدر انه لا داعى لإحضار حقيقته . سوف تصنع أية زجاجة نظيفة موقت

وتنطلق للسيارة عبر شوارع البلدة التي بدأت تعج  
بقصص ..

عندما رأى المشهد من بعيد أدرك أنه محق أكثر من  
اللازم . هناك نكت للزحام من التفصيليين الذي استطاع  
الأمور ببراعة أن يبقيه بعيداً فلا يرى أى شيء .. هناك  
الأمور يقف وقد بدا عليه الفخر كتعفة باعتباره فجز  
عملاً رائعاً ..

هناك الجنة المراقبة على الأرض . جنة شهاب على  
الأرجح .. سرلويل جينز وحذاء ريانسى ..

من هذا المكان لا يستطيع تبين أية تفاصيل دقيقة ..  
ربما باستثناء أنه لا يوجد للجنة رأس ولا صدر .

★ ★ ★

وكان ( هارى ) يقف في الممر يرمى البلدة من النافذة  
المظنة على محطة البنزين . من هنا يرى للطريق العلم  
والصحراء من بعيد .. الصبار في كل مكان يضاف على  
المشهد طابعاً فريداً والجبال في الأفق .. ربما هي تفرس  
جنورها في الحدود المكسيكية من هنا يأتي المتمثلون

ومن هنا يفر المحرمون الوحشة هي طبع المشهد  
خاصة مع الهواء الساحن الذي يجعل الموجودات تتنوع

بلدة كسيية فعلاً . وقد بلغت روحه الخفقوم

( بتج بتج ) ..

غريب صوت الطبول هذا ..

لو شئنا الدقة لقنا إنه ليس صوت طبول . الطبول  
تقول : ( بوم بوم ) أما هذه فهي ( بتج بتج )  
أقرب إلى صوت معني كتذى يمكنك أن تحدثه بالدق على  
علبة معدنية ..

لكن من يهتم بهذه الأمور في بلدة مصر رزقها هو  
المناجم ؟!

لم يكن يعرف شيئاً عن أعمال المناجم أو هو يعرف  
قشرة عن الموضوع لا بد أن في الموضوع خواتم  
وعربات تجذبها الحبال وديناميت و ..

وطرقت على علب معدنية ..

سمع صوتاً من خلفه فالتفت ..



رأى باب حجرته مفتوحة والساقية الحسنة ( باتريشيا ) التي تعمل كذلك بالوعة وخدمة غرف تخرج حاملة المكنمة ودلوا . إنه موعد التنظيف ويبدو أنها اختتمت بعض الوقت لتصعد وتنتهي عملها .. وكان يعرف أن ما قامت به في الغرفة هو التالي : شدت ملاءة الفراش من جديد ، ثم كومت الأتربة تحت طرف البساط . هذا هو كل شيء ..

لكنه لم ينكر أنها بارعة الجمال . تبدو مهية فاخرة وهي تكف بذمتها الفارعة وتغلق الباب ..

رأته واقفاً عند نهاية الممر فقالت في مرجح .

- « هاي »

ثم عاد وجهها لبرودة المعتاد ..

قال لنفسه إنها من الطراز كنيل للحس وربما تتمتع بـ *Psychopath* كذلك .. يمكنها أن تقتل طفلاً دون أن تهتز . ومن الغريب كما قلنا أن هذا يعطيها فتنة خاصة .. صغراً لا يمكن فهم مصدره ..

وهنا نتذكر شيئاً عن ( هاري ) . إنه من النوع الذي يجذب للجماليات بسرعة ، وإبه لا يعتبر هذا خيانة لزوجته . ما دام لم يقع في الحب فهو لا يعتبرها خيانة . قال لها وهو يعقد ذراعيه على صدره لأنه لا يعرف أين يضعهما :

- « كلما رأيت فتاة جميلة مثلك تقوم بهذه الأعمال .. »  
ولم يكمل عبارته كأنما يريد كتابة مأساة إغريقية تصف نوعه لهذا الحدث المفجع .

نظرت له مفكرة للحظة ، ثم قالت :

- « هم م م »

وعذت تفتح باب غرفة المجاورة لخاصة بـ ( شولتر ) .

عاد ( هاري ) يقول وهو يعرف أنه سيتلقى العديد من الصفحات المضوية :

- « من هن مثلك ملكات في ( فلوريدا ) .. »

نظرت له للحظة .. وفكرت . ثم قالت :

- « حقاً ؟ »

وضحكت تلك الصخرة التي تعمل بطريقة ( الكل أو لا شيء ) فجأة هي تضيء وجهها كله وفجأة لا يعود لها أي وجود لا توجد منطقة وسطى . كأنها توصل القابس لتشغل الصخرة ثم تفصله وتعود لتجهزها ..

قال لها وهو يتقدم في بساطة :

- « ما رأيك لو دعوتك إلى العشاء ؟ هل ثمة ارتباط معين ؟ »

فكرت قليلاً ثم قالت :

- « لا لكن ليس بوسعي أن أفعل ذلك هنا . العجوز لن يرحب .. »

- « تحدثت عن مكان لكثير ريفياً لا قصصك بهذا الكلام . لكن أنت تعرفين ما أعنيه لا يجب أن يكون هذا المكان معتاراً لمجرد أنه تحت إشرافك . »

كانت تفهم ما يريد بلا جهد يريد أن يقول لها : « لنجد مكاناً أنظف ولرقي من هذا النوكر القذر الذي تقومين بتنظيفه » لذا قالت بطريقة الباردة :

- « غداً ( جاكسون ) هناك عشاء جيد وموسيقا . لكن لا تتشاجر مع الصبية المحنيتين »

وكانت هذه نقطة مهمة . بالتأكيد هي تتلقى منات تعرض من شباب البندة فيما إنها تقبلها جميعاً . وإما إنها ترفض .. بتتألى لن يمر هؤلاء شيء أكثر من المشاجرة مع فتى المدينة الثرى الوسيم الذى ظفر بـ ( باتى ) .. مادام ثرياً وسيماً فهو على الأرحح جبان رقيق .

كان هذا يسره كان يحب المشاجرات .. وهو موفق فيها يوماً للحظة التي يهشم فيها عنق واحد من ذوى الرقب الأحمر Red neck هؤلاء من الممتع أن تقابل رجلاً يعتقد أنه قوى ومن الأمتع أن تثبت أنه العكس المشكلة الوحيدة هي أن المأمور لا يحبه ، ولنسوف يكون عقابه صارماً لن يسأل عن البدل . لا بد أنه ( هارى )

على كل حال جاءت ( بتريشيا ) في الوقت المناسب لتجعل الحياة هنا لن يكون الملل ضمن مشاكله هنا إلى أن يصل ذلك الأحمق ( رفعت اسدعيل ) فتاة كهذه ستجعل حياته صراعاً دائماً وتحفزاً وقف . وهو المطلوب .

لكنه ما زال لا يفهم سبب حماس ( رفعت ) لزيارة هذه البلدة . لقد اعتاد أغرب الأمور من صاحبه لكن هذا يفوقها جميعاً . هذه البلدة لم ولن تكون أبداً مقصداً للسباح .. هناك من يحبون الجبال لكن من قال إنك يمكن أن تستمتع بها ؟ شوارع ضيقة كنيية تحيط بتمنجم وحياة تبدأ بالمجد وتنتهي به . حفر تنقيب شحن . تفريغ .. نقل .. ثم يعود الرجل مرهقين ليصربوا بماءهم ويناموا كتنبتى

هناك حوادث غريبة . لكنها بالتأكيد لم تصل لعم ( رفعت ) دعك من أنه عرف هذا الأخير بما يكفي كي يفهم أنه لا يبحث عن المتاعب أبداً . إنه يفضل تجنبها لكنها تلاحقه بحماس غير طبيعي ، ولو سمع ( رفعت ) عن حوادث القتل هذه للفضل قضاء العصة في موضع آخر

★ ★ ★

للمرة الثانية دق المنقصر على الباب

« أنا آت .. »

واتجه الأب ( ميلروي ) إلى الباب وهو يجفف يديه في منشفة فقد كان يغسل الأطباق ..

روايت مصرية للجيب ما وراء الطبيعة ٨٧

« هؤلاء الناس الوحيدون من أين يتون ؟ ولأين ينتمون ؟ »

فتح قلب فوجد أمامه ( كلاريسا ) تلك الزوجة الصماء لمدرس البلدة ( ريتشاردسون ) كانت سيدة لطيفة وكان يشعر براحة معها ..

« معذرة على قدومي من غير موعد .. »

« كل الأوقات مناسبة يا بلوتس .. »

وأوسع لها الطريق لتدلف إلى الداخل منذ اللحظة الأولى فهم أن هناك جسواً من الارتباك غير مفهوم . ثمة شيء ثقيل يجثم على أنفسهم . جلست في التيهو على أريكة هناك ، ووقف أمامها مستمعاً في تجفيف كفيه :

« هل ترغبين في بعض عصير الليمون ؟ لدى بعضه »

« لو سمحت »

اتجه إلى الشلجة فصب بعض الشراب الصافي البارد في كوب وعاد إليها راحت تشرب وهي تنظر له مستكشفة من فوق حافة الكوب العليا ثم قالت :



« أُرغب في أن أعترف بشيء .. »

حك رأسه وابتمسم :

« لا أفعل هذا يا بني . لكني أؤمن أن على الناس أن يعترفوا بخطاياهم لبعضهم . ربما كان الاعتراف ليريحك أكثر »

راحت تفكر قليلا باحثة عن كلمات مناسبة . نهض ليحلب المئزر على المائدة لأنه خمن أنها تفضل ألا يظهر وجهها وهي تتكلم ..

قال لها وهو يجلس بعيدا :

« يمكنك أن تتكلمي .. أنا منصت .. »

قالت بصوت هادئ وهي تنظر قدر استطاعتها في كوب الليمون الذي فرغ واكتسى بالبخار

« أنا .. لم أرتكب خطيئة معينة .. »

« ليس بومسك أن تزعمي ذلك .. ليس بومسك حتى أن تتذكرى عدد الخطايا التي ارتكبتها اليوم »

أربكها منطقها ، فقالت :

« لم أرتكب ما يمكن أن تضعه في قفلة الخطايا القوية . لكن أشكركم شريفة ولا شك في هذا . إنني لم أعد أعرف نفسي .. »

« أنا منصت .. »

« أحيثا أشعر أن بدخلي يتصرع ألف شيطان . هك جحيم موقد في أعماقي .. وأفكرى أبعد ما تكون عن الخير .. غير أنني أسيطر على نفسي سيطرة كاملة . هذه الحرب تدور بدخلي لكني أبقى مسطح هادئا ويرقى نفس ملائكا .. »  
قال في روية :

« القديسون يفظون في أحلامهم ما يفعله الأشرار في صحوهم .. »

« هذا لا يقتضي اعتقاد أن الشخص للخير يجب أن يكون نقيًا من الداخل والخارج . لو جنت للمحل عندى وابتعت قطعة زبد ، ثم عدت لدارك فوجدت أنها محشوة بئصابون من الداخل لعدت لى وتنجرت معي . أن يقتبك منطقي وقتها . أن يقتبك فني بعت قطعة زبد من الخرج »

« مقييس البشر في فهم الأشياء تختلف عن مقييس الرب »

- « لكن الزيد هو الزيد يجب أن يكون أبيض من الداخل والخارج .. »

- « فننس الزيد قليلاً ونتكلم عنك .. »

عادت تتكلم بصوت رتيب وهي تحاول ألا تنظر إليه :

- « في البدء كن نكت لنداء لذي أسمعه ليلاً ثم ... »

★ ★ ★

هؤلاء الناس الوحيدون من أين يكونون ؟ ولأين ينتمون ؟

★ ★ ★

الآن كان ( شوارتز ) قد تمالك نفسه نوعاً .

فرغ من دس العيفات في كوب زجاجي أحضره له ، ثم سده بعشاء مشمع ورباط مطاطي . فعل هذا كله في سيارة الإسعاف حتى لا يعرف المصليون . كان المشهد مروغاً لا يصدق . لقد رأى الكثير من الجثث نكن هذا المشهد يشعره بأنه في ساحة حرب ..

قال للمأمور وهو يجتف عرقه :

- « لا تقل لي إن القتل وقع هنا .. »

ابتسم المأمور وضغط على النظافة أكثر ، وقال :

- « لا . لا يوجد ما يدل على ذلك .. هذه الجثة نقلت من حيث كنت . ما رأيك في الراحة ؟ »

قال العالم :

- « بصرف النظر عن الراحة الكريهة بحق ، فإن هذه البرقعات تامة للنضج . لقد توفي هذا الفتى منذ فترة »

قال المأمور بخبث :

- « يدعى ( هارلسون ) . انه فتوة المراهقين هنا . وأن أؤكد لك إنه كان سليماً كجرم أمس »

- « لا أفهم ! ككل مرة لا أفهم »

أضاف المأمور وهو يحك شعره الأشيب الطويل :

- « ثم هناك الراحة . هل حقاً تجدها راحة تعفن ؟ »

هنا توقف ( شوارتز ) ..

الحق أن شيئاً كهذا كان بخامره من وقت لآخر . إن الترواح الكريهة تتشابه لكنها ليست ذات الشيء . كان

يشعر منذ البداية أن هذه الراحة كريهة لكنها ليست  
بالتصيط راحة الجثث المتعفنة . لو قال هذا لاتهم بشتاذنق  
والسخر مثل الهستيريين الذين يصرون على أن هناك  
لواحا من الظلام ..

أما وقد قتها الأمور الذي لا يملك أننى قدر من  
الهستير قد شعر بأنه تلقى الإذن ليشعر بهذا .

قال ( شوارتر ) :

« ماذا تحاول أن تقوله ؟ »

« لا أقول أى شيء . فقط أعلن أننى عاجز عن عمل  
شيء . إن لى سبعة عشر عاما كأمور لكنى لم أر شيئا  
كهذا . إن التمدى فى الخطأ خطأ أدهح . لقد فقدنا عدة  
أشخاص وحتى اللحظة لم أتمكن تقرير ( فيكس ) .. هناك  
أسباب وفاة واضحة أحيانا مثل هذا الفتى الذى تم قص ثلثه  
الغوى وعامل للمأجور المكسبى الذى امتص أحدهم للدم  
من عنقه »

هاتف ( شوارتر ) فى هلع :

« عم تتكلم ؟ أنت لا تخبرنى بكل شيء . »

« ليس من على أن أبلغ سموكم بكل ما نفعله . أنت  
هنا للتحقيق فى الجثث المحنونة بشحشرات . فيما عدا هذا  
لا شأن لك .. »

وفى عجلة حكى له تفاصيل ما حدث أو ما تبين له  
فيما بعد استطعت تجميع القصة وإعادة تشكيلها كما يفعل  
رجال الحفريات ..

قال ( شوارتر ) :

« نحن فى ملهى مخيف .. »

« أنا أرى هذا . لهذا اتصلت بـ ( فينكس ) طائبا  
محققين . ربما أحتاج لبعض القوت كنتك .. لى قسدة تفت منى  
ولا أستطيع حملة كل مراهق أعرق وكل ذى عنق أحمر . »  
ثم بصق على الأرض جوار حذاء ( شوارتر ) . وقت .

« يكفى أن تعرف الصحافة بالأمر .. ولأسوف أفقد  
وظيفتى وكل شيء .. تبأ .. هذه البلدة ظلت هالكة لعدة  
قرون . سبعة عشر عاما لم يحدث فيها شيء . أقطع  
شيء حدث أن أحدهم سرق الكشاف المعلق على مكتب  
البريد . الآن تنهمر الصواعق على رأسى »



## الجزء الثانى

### الطبيب

« كل شيء يتغير .. للبلدة سوف تتركل الصندوى  
قريباً .. أشعر بهذا .. ( لوسيفر ) العجوز قد جاء يتقاضى  
حقوقه .. فلنكن لن لم يحدث هذا . »

٩٤ أسطورة الرجال الذين لم يعودوا كذلك

لم يكن ( شوارتز ) يصفى ..

كان عقله يصل بلا انقطاع ..

يرقات فى جثث لم يمض على وفاتها وقت كلف ..

يرقات نضجة

مضى هذا أن هذه اليرقات وضعت فى هؤلاء قبل

موتهم .. وضعت فيهم وهم أحياء ..

نحن نتحدث عن ظاهرة الندويد ..

★ ★ ★

# -1-

أنا مطلوب حيًا لو ميتًا ..

لهذا يجب أن أرحل يا صغيرتي ..

ترى من سيتلو الصلاة على روحى ؟

من سيكى على ..

حينما أتدلى من المشنقة ؟

★ ★ ★

كان هذا هو الموقف عندما وصلت إلى ( دنوير ) .

مطري غريب يتفعل وأنا أنزل من الحافلة قرب محطة  
السرين حملاً حقييتى من بعيد يتوهج الأفق فى حرارة  
الشمس وهواء يترقص بتلك الطريقة التى تشعر بقتضا  
هك موسيقا ريفية أمريكية تنبعث من مكان ما ، فتشعر أن  
عجوزًا ملتحيًا يجلس على سياج مزرعة يرقب الخيول  
ويعزفه ..

يبدو المشهد كأنها لقطة من أحد أفلام رعاة البقر ،  
فلا ينتصنى إلا أن أرى رجلاً ضخماً ينتظرنى فى آخر الشارع

روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة ٩٧

ويتخصص مصنعهم قتلًا : « اسحب ! » .. لكن لو كان هذا  
فيلم رعاة بقر فأنسب دور لى هو دور حاتونى البلدة أو  
حصان عجوز مريض ..

( هارى ) بانتظارى .. تلك الصديق العزيز الذى ذاق معى  
قذراً لا يلى به من ( البهيلة ) .. بشكل ما لشعر ليه ( عزت )  
آخر .. ( عزت ) لقوى وأصبح بدناً .. لكن التمبدأ واحد ..

بعد الكثير من الترحل على الطريقة الأمريكية والـ ( ولو )  
والـ ( بيه ) ، قال لى كقاعدة :

- « أنت تزداد شيخوخة وأقبحاً .. »

وهى التحية التى يلتقى بها كل شخص على وجه الأرض ..  
لا أعرف متى كنت وسيماً شيئاً لزرقي العينين .. لكن لا بد أن  
هذا حدث ما داموا يملكون فكرة عن الأفضل الذى كنته ..

ثمة علامتان اللتان انتهائى منذ وطأت قدمى أرض هذه البلدة :

أولاً .. كل الناس هنا أصحاب أقوياء يوشك الدم على  
الانفجار من خدودهم .. هذه علامة دائمة أراها فى الغرب  
الأمريكى سواء فى زيارتى لو فى كل فيلم أراه ..

ثانياً : رائحة البلدة كريهة فعلاً . ليست رائحة الموت أو التحلل العضوى .. لكنها رائحة لعينة ما .. هل هذه رائحة منجم النحاس ؟؟؟

ومشينا إلى المونيل الذى يقع فوق محطة البنزين ، حيث كان قد حجز لى غرفة .

فى المدخل قابلت تلك المعالم الأمريكى مهيب المنظر ( سوارتز ) والذى لا بد كنت عرفتة الآن بما يكفى .. علم الحشرات العلى علم مهم لكنى لا أعرف عنه شيئ وقد بدا لى غريباً أن يوجد هذا التخصص فى هذه البلدة بالذات .. إن أندلس إنى لو اتضح أن هنا خبيراً فى وقود الصواريخ لو نظرية الهولوكست ..

راح يرمى متفحفاً وهو يشد على يدى .. نظرة أعرفها جيداً .. كأنه يقول : كل هذه الضوضاء من أجل هذا ؟ ثم قال :

« حدثنى ( هارى ) عنك كثيراً .. يقول إنك شخص جدير بالمعرفة .. »

« على سبيل الفضول العلمى طبعاً . لن أقسى أنك مختص بالحشرات الطبية .. »

لم يضحك .. اعتقد أن الدعاية لا تتنقل بسهولة فى هذا المكان .

قال لى ( هارى ) :

« كنت لخترت لسوا وقت ممكن للقوم هنا أو ربما الوقت سيئ لأنك جئت .. »

كنت أتوقع هذا ..

( هل لنا ذاهب إلى مورينسى لآل تريدان هذا ، أم إنك تريداننى لأنى ذاهب إلى مورينسى ؟ ) ..

إنها تلك الأمور المتدلخنة حيث لا تعرف إن كنت سبباً أم نتيجة . هناك قصة طريفة تذكرها الآن عن الشاعر ( أحمد شوقى ) يوم ولادته جاء شيخ معروف إلى أبيه وقال له مهموماً : « إنك سيكتب بيت شعر سبباً يمدح الخمر قتلاً :

رمضان ولى هتها يا ملى ..

مشافقة تصعى إلى مشتاق »

كبر ( أحمد شوقى ) وذات يوم حكى له الكبار هذه القصة ضاحكين . من الغريب أن بيت الشعر راقى له وقرر أن يستكمل القصيدة ' هنا نجد سؤالاً محيراً . هل تبدأ الشيخ فعلاً ببيت الشعر الذى سيقوله ( شوقى ) أم



إنه في الحقيقة هو الذي ألهم (شوقى) بهذه القصيدة ؟  
للخلاصة أن القصيدة قُبلت بالفعل وقَاتَلها هو (شوقى) !

قَاتَل (هارى) وهو ينادى الساقية للصنَاء التى عرفت  
أن اسمها (بقرشيا) :

- « (بقرى) . أريد بعض الليمون لصديقى هذا .. لَمَّا لَمَّا  
و د (شوارتر) فسوف نتناول مشروبنا المعتاد .. »

ضحكت الفتاة ضحكة غريبة من الطراز الذى يظهر فجأة  
ثم يختفى .. مما يدلك على أنها لا تعأ باللفظ على  
الإطلاق لكنها تلطعه الفعالا . على أننى قدرت أنها تميل  
لـ (هارى) نوعاً ..

فلما قصرت كنت له همماً :

- « يبدو أنك لم تضع وقتك .. (هارى) الموسم يودى  
ولجبه المنزلى »

قال فى ثقة :

- « أنت تعرف المثل فى هذه البقاع .. »

عدت لِسْأله بعد تصرف الفتاة :

- « الآن أريد أن أعرف . أى نوع من المشاكل يحدث  
هنا ؟ »

هكذا حكى لى باختصار شديد ما حدث وما عرفتوه  
أنتم . اسمحوا لى بدقيقة للإصغاء .. فى كل مرة أتى  
متأخراً لأجد أن الجميع يعرف ما أجهله أنا

ثم إن (شوارتر) تدخل بدوره ليحكى وجهة نظره وما  
قاله له المأمور ..

هكذا بدا لى المشهد كنيياً يعج بعلامات استفهام ..

أولاً : هناك جرائم قتل . بعضها لم يعرف سببه بعد  
وبعضها واضح كشمس . يجب أن نكون حذراً على  
أصاعل عن سبب موت ذلك الفتى الذى اختفى رأسه وأعلى  
صدره . على الأقل فى جريمة واحدة هناك ما يوحى بمص  
الدماء بشدة ..

ثانياً : فى ثلاث حالات على الأقل هناك ظهور مرعب  
لليرقات فى الجثة اتنى لم تجد الوقت الكفى لتتعفن ..  
(شوارتر) يتحدث عن ظاهرة للتدويد

ثالث - ثمة كلام عام مبهم عن جماعة غامضة هنا تمرس ما يوشك على أن يكون طقوساً دينية ، لكن أحدا لا يعرف من هم ولا أين يجتمعون . هذه ثرثرة تنتقل بين المراهقين . يدعم هذا كلام النفس ( ميلروي ) عن جثث قُطعت يبدو أنها قد سُحِقت

لنت بعد انتهت هذا العرض الشائق :

« الأمر واضح ولا يحتاج إلى حساب ألى . إن هذه لجماعات لشيطانية توجد من حين لآخر .. لقتل هنا قتل طقسي ritualistic ربما يتضمن مصر الدم كذلك . سوف يمارسون عملهم بعض الوقت ، ثم تقبض عليهم لشرطة . »

البتسم ( شولتر ) ، وقال فى هدوء :

« لا يوجد تفسير آخر . لكن ماذا عن اليرقات ؟ »

حفا . هك يرقى . هذا يثير الغيظ .. كنما تمكنت من تركيب احراء الغز وقف جزء معين فى الطريق وفى حلق . وهو موقف معاد فى الطب على كل حال .. انصورة تتفق مع مرض التيفود لكن ماذا عن الزيادة المرعبة فى كريات الدم البيض ؟ ربما لو حدث ثقب فى الأمعاء يكون التفسير ...

« التكويد »

قالها ( شولتر ) فى ثقة ..

لتكويد Myiasis هو من المشاهد الدرامية المحيطة بالنسبة لدور حياة الذباب .. أنت تعرف تلك الذبابة الزرقاء اللاصعة وتلك التي ترسم رقعة الشطرنج على بطنها . هذان نوعان من الذباب العملاق الذي يدخل حجرتك ويصطدم بالرجاج والجدران ككك يصدد وطواط لا ذبابة حسن . إن لها كريمة مثل زميلاتها ومن حقها أن تحظى بأسماء لائنية معتدة ، لكنى لن أنكرها هنا .. لهذه الأنواع من الذباب عادة كريهة هي أن تبيض على فصحة حية . تخرج اليرقات تشبهية بالديدان من البيض وترحف تحت الجلد أو تتخذ موصفا مريخا فى فجروح لئمو .. بعضها يبيض على فتحت الجسم . هناك حالات تدويد تجد فيها اليرقات فى الجهاز الهضمي أو المثانة ، لأنها ببساطة وضعت بيضها على فتحة البول . جهب فكرة مرعبة تحمل كل مخاوف التحش العضوى التي هي أساس قرعب . لو كان قرعب هو خوفنا من التفكك العضوى وما قد يحل بأجسادنا ، فإن هذه الفكرة جذيرة بجسامة الأوسكار لكنها حقيقة علمية كاية حقيقة أخرى

ما يريد (شوارتز) قوله هو : لقد وضع القلب بيضه على أحساد أحياء ثم ماتوا فحسبته جاء بعد موتهم .

- « والسبب ؟ »

- « لا أعرف »

وساد صمت رهيب كل واحد يفكر في معنى هذا ..  
ونمذا لم يتكرر في كل حالة \* بل لملا يتكرر ؟ إن  
التدويد يحدث في ظروف خاصة جداً ومحدودة جداً .

قلت ( هاري ) بعدما فرغ من إنهاء شرايه :

- « ما أراه هو أن علينا أن نرحل - لو كان هناك عمل  
ما ينتظرك يا ( رفعت ) فنتكته منه بسرعة »

قال ( شولتز ) :

- « ف لا أملك هذا لتعرف - إنني مكثف بمهمة رسمية ..  
على كل حال أعتقد أن قبلة ستعج بالغرباء قريباً -  
مصر على الاستعدادة بهم في ( فيكس ) . »

- « ف هذا ؟ رحل الأمر العنيد يتنازل ويقبل الشون  
أخيراً ؟ »

روايت مصرية للجبب ما وراء الطبيعة ١٠٥

- « هذا واضح . إن الموضوع أكبر منه .. »

- « عندما نتحدث عن القبط ... »

ونظرت لاري القبط المذكور . فرأيت الأمور بدخل الحنة  
لو الكافتيريا لا أعرف بالضبط ..

من اللحظة الأولى عرفت أنه مفرور مزعج . ليس غيباً  
وبالتأكيد له نظرة ثاقبة للأمور لكن اتفهم معه مستحيل .

دخل المكان وهو يجلف عرقه كرشه التملق يهتز  
أمامه فلو كان لي كرش كهذا لحرصت على أن أبقى  
قميصي خارج لسرويل لا دخله لكنه كما يبدو بفحربه .  
من خلفه نائبه أو ما يطلقون عليه Deputy شاب  
متبخر مائع نوعاً .. هذا نمط معروف هو الآخر - علاقته  
بعمل الشرطة هو أنه يجعله وسيماً أليفاً يروق للفتيات ،  
لكنه أول من يفر في لحظة الخطر .

- « نريد شراياً بارداً يا ( بتي ) .. »

ثم مشى نحو منضدتنا في تودة . وقف جوارها ونمى  
قبضته على سبيل التحية التي هي أقرب للسبب .. وقال  
وهو يرمقني من فوق لتحت :



- « هذا هو المصري المولع بالسياحة ؟ »

قال ( هاري ) في برود :

- « البروفيسور ( إسماعيل ) طبيب مصري مرموق . »

ثم أكر مرموقاً نكس ابتلعها لاسى صرت أعرف خلفيات

الرجلين ..

قال المصور وهو يصطح من وضع قبعة :

- « قر لصاحبك لو كان لا يفهم الإنجليزية إتينا في

أوقات خطرة على الرجل أن يقوم بما يجب على الرجل

أن يقوم به ! »

صحكت في سرى إذ سمعت هذه الجملة بالذات ..

ثم انه اتجه إلى منضدة مجاورة فجلس .. ولحق به

مساعد ..

قال لي ( هاري ) :

- « تجاهله انه يتطهر بشدة البأس لكنه أول من

مسيئ سرأوينه لو قبل خطراً حقيقياً . »

ابتسم ( شولتر ) في إتهك ، وقال :

- « لو قبل خطراً حقيقياً ؟ بك متفائل يا صاحبي »

لا أعرف لماذا أعقد أننا نجاوينا هذه لقطة من زمن " »

★ ★ ★

## -2-

فيما بعد عرفت هذا للجزء ..

لقد اتجه ( هاري ) إلى ذلك المكان الذي اتفق عليه مع  
الساقية الحسنة ( بتريشيا ) . ( عند جاكسون ) .. هكذا  
يطلقون عليه مكان راق وموسيقا كما قلت ..

كنت أنا قد تمت كمومياء ( حطب حرس ) لأنني كنت  
مرهقا من غناء اليوم ، وقد أراحه هذا من تقديم الأعذار  
كي يتخلص مني ..

نحل ثمن بيننا صوت مطرب ريفي ينبعث من مكان ما ..

« أنا مطلوب حيا أو ميتا .. »

لهذا يجب أن أرحل يا صغيرتي ..

تري من سينتو الصلاة على روحى ؟

من سيكى على ..

حينما أتلى من المشنقة ؟ »

الصوت الرنان الحارق أشعل ذكرياته .. صحيح أن هناك  
مشاقق في الموضوع لكن يجب أن تكون أمريكيا لتفهم  
سحر الهيم على وجهه أو الـ drifter .. تلك الغريب الذي  
يقضى كل يوم في بلد ومع فتاة أخرى .. ولا أحد يعرف من  
هو حقا .. ربما كان هاربا من العدالة وهذا يضيف عليه  
المزيد من السحر .. حتى لو كان مطلقا فهو يصير بطلا  
بالنسبة للأمريكيين .. هذه نقاط في تكوينهم يصعب أن  
نفهمها .. ثم تأتي نروة الرومانسية في اللحظة التي يتدلى  
فيها مشنوقا ..

المكان مظلم كالتقبر .. رجال يجلسون إلى البار يشربون  
ويمزحون بالجينز والقممات .. بينما يشقى هو طريقه  
وسطهم .. يتخذ موقفا هناك ..

عند مدخل القاعة يراها . قلادة في الإضاءة الخافتة  
التي لا تترك منها إلا السلويات .. شعرها بهتر مع  
خطواتها .. فارعة ممشوقة كأنها جواد برى ..

تكنو منه فحيرتها .. تهز رأسها وتبتسم تلك الابتسامة  
الخاطفة ..

« أنت تخلصت من ( سكروج ) العجوز »

« ليس هذا صعباً .. »

تقولها وتجلس فيطلب لها شرباً .. الموسيقى تتعالى  
ثم تظهر فتاة طويلة الشعر مجعدته تلبس الجينز ،  
وتمسك بجيتار عملاق . وعلى دقات مرحة مع التصفيق  
نقش :

« ( جونى ) أممك بتنفوس واعزف كماتك جيداً .. »

إن الحميم قد تعذر فى ( جورجيا ) والشيطان يسوزع  
أوراق اللعب ..

فلو فزت لربحت هذا الكمان الجميل المصنوع من  
الذهب ..

ولو خسرت لظفر الشيطان بروحك ! .. »

وينهض الشباب ليرقصوا على النغمات ظلام فى ظلام  
لكمك من أن لآخر ترى وميض سيجارة لو استنقنا تلمع ..  
للقاة تضرب الأرض بكعب واحد مع الإيقاع ، وتقدم أحدهم  
يضع لها برميلاً لتصعد إليه بينما هى تواصل عزف

الكمان .. ومن مكان ما برز راعى بقر معاصر بصاحب  
الإيقاع بدقات بالملعقة والشوكة ..

سأل ( هارى ) فتاته وهو يرفع صوته كى يجتاز صخب  
الموسيقا :

« هل ولدت هنا ؟ »

« ولموت هنا .. إن أسمى تقيم قرب المنجم .. لكلى  
أبيت أحياناً فى الموتيل . »

« الصبى يشرب اللبن مع أمه ! » ، تـ ٢٠ مـ ٥ ..

جاءت هذه من المنضدة المجاورة ، وقد قدر ( هارى )  
أن قائل هذه العبارة لا يتكلم عن صبى يشرب اللبن مع أمه  
على الأرجح .. إنه هناك من يسخر منه .. لكنه تظاهر بأنه  
لم يسمع به سناً لهذا . تـ ٢١ مـ ٥ ..

سألها :

« هل أروى لك ؟ »

نظرت له فى برود وقسوة ، وقالت :

« رأيت من هم أفضل . »



ثم أردفت مفكرة :

« أنت ممن جدًا بالنسبة لى .. »

تلقي الضربة التي يتلقاها للمرة الأولى في حياته .. لقد اتهموه بالتخرق والانفصاع والغباء لكن لم ينهيه أحد بالشخوخة قط .. ابتلع العبارة ، وقيل :

« إن لمماذا تخرجين معي ؟ »

قلت في برود وقسوة :

« ربما لأن ظروفك المادية أفضل .. من الممكن أن تعطى فتاة مثلى نزعة مشبعة .. إنك لست من الشباب الذين يدعوننى إلى شظيرة من الهاميرجر ثم يتوقعون أن أهرم بهم حباً .. معهم أجد الحب ومعك أجد المال ! »

كانت قطعة كالسيف حادة .. لكنه كما قلنا كان مولفاً بطريقتها هذه .. البرود الجذاب .. القسوة الساحرة ..

أشعل لفافة تبغ عندما سمع من يقول فى الظلام :

« لا . لا . لا .. ليس أمام منما ليها اللصبي الجميل ! »

نظر لها فى حدة ثم نظر إلى الوراء فسمعها تقول :

« لا تتدفع .. تذكر ما قلته لك .. أنت لم تسمع شيئاً »

لكن هل ينطبق هذا الكلام على ( هارو ) كتلة العصبية والانفصاع التي تم صبها فى صورة رجل الترجمة الدقيقة لتعبير ( طبيعة نارية ) ؟! إنه يحب المشاجرات ولن يترك فرصة كهذه تمر .. لقد نهض كالمجنون ليأراهم .. مجموعة من الشباب نوى الأعناق للحمير يجلسون على البار وهم ينظرون له بتحد ووقحة .. كانوا أربعة فقط . هذا يجعلهم فى خطر حقيقى ..

قال وهو يشير إلى صدره فى تحد :

« هل تكلمنى قنا ؟ »

قال لضخمهم جثة - الذى ليس قميصاً ( كاروهات ) - وهو يبصق كناية عن الاستهتار :

« لنفترض ذلك .. فماذا تنوى عمله ؟ ما هى حركتك ؟ »

« هل تكلمنى قنا ؟ »

كما كان ( دى نيرو ) يفعل فى فيلم ( سائق التاكسى ) .  
تلك الأداء العصبى للتصاعدى المميز .. وسرعان ما وثب

فى الهواء نيدفن رأسه فى صدر الفتى . ثم اعتصر عنقه  
بين يديه تحت ( راحة ) يدهما إلى راحتهما .

صرخ البعض وساء هرج ومرج .. بينما سقط ذو العنق  
الأحمر من على مقعده وهو يسب ويلعن .. فى هذه اللحظة  
تقضى عليه الفتية الآخرون بالركل واللكمات ..

معركة قصيرة هى كنت أتمنى أن أقول إن ( هارى )  
قهرهم لكن الكثرة تغلب الشجاعة ، دعه من أن تتمتع  
الكثرة بهذا الحجم الضخم والعضلات المتفجرة .. كانت  
مذبحة لو أوشكت أن تكون كذلك . خاصة بعدما تهشمت  
بعض الأرجحات لتتحول إلى خنجر

هنا فقط نرى الصوت الحازم :

« توقفوا !! »

تصلب الجميع ليروا كرش المأمور المميز وهو يشق  
طريقه بين الزحام ثم يتجه إلانحو الرجل للرائد على  
الأرض والدم ينزف من حاجبيه .. ( هارى ) . أمسك به  
من ياقة قميصه ونهضه .

« أنت يا رجل ( فلوريدا ) ' كنت لك بنى لا أريد مشاكل  
فى مدينتى .. إن لى سبعة عشر علما كمالور فى هذه البلدة  
وأعرف أمثالك جيدا .. »

قت ( هارى ) وهو يحاول النهوض والدم يغمر وجهه :

« تكلم عن المشاكل وأعوام خبرتك مع هذه الشران ..  
إنهم تحرشوا بى . هذه للبلدة هى المكان الذى جمعوا فيه  
كل بلطجية البلاد »

« أخرس ! »

قاتها أحدهم وهو يوجه ركلة لصدر ( هارى ) مما جعله  
يصرخ ألما . لكن المأمور لم يوجه له أى لوم . فقط ظل  
يكنم ( هارى ) كأنما هذا الموقف لم يحدث :

« مسوف تأتي معى بكل تهذيب .. لا أريد مشاكل  
أخرى .. »

إنها فرصته إذن . هو يتوق لهذا منذ التقيا أول مرة ..  
نهض ( هارى ) مترنحا .. ونظر نظرة ينبعث منها الشرر  
إلى الفتية .. كان الدم يسيل من أنف أحدهم لكن هذا كل

شيء . وأتى أحدهم بحركة بذينة بيده عالماً أن ( هارى )  
أن يستطيع الرد .

قالت ( باتريشيا ) بطريقتها العملية وهي تغلق حقيبتها  
وتدسها تحت إبطها :

- « فعلاً أنا آسفة .. لكنى مضطرة للانصراف الآن فقد  
تأخرت ! »

قال أحد الفتيات باسمًا :

- « لا داعى لإفساد سهرك .. نحن فى الخدمة يا ( بتي ) ! »

لم ينتظر ( هارى ) ليعرف ما حدث لأن المأمور جنبه  
جذباً إلى الخارج . ولا يعرف كيف ولا متى وجد نفسه  
داخل السيارة التى تدور كشافتها وتعوى سرينتها .. يشق  
الطريق وسط فواقين خارج الملهى .. بدا المشهد كأنما تم  
اعتقال ( هتار ) نفسه ..

قال له المأمور وهو يصب الممتلكين حول السيارة :

- « ليلة فى الحجز بعدد تشعر بتحمن . »

فتر ( هارى ) فى لا مبالاة وهو ينظر خارج زجاج النخلة  
ويضغط بمناديله على حاجبه :

- « ليلة فى الحجز لأن هؤلاء الأوغاد ضليقونى ؟ ألا ترى  
أن العدالة لها طرق غريبة فى هذه البلدة ؟ »

- « اخرس يا رجل ( فنوريدا ) .. لن أنتظر قدوم أمثلك  
ليعلمونى مهنتى . ليس بعد سبعة عشر عاماً »

هكذا قرر ( هارى ) أن يخرس . وقدر أن ليلة فى  
الحجز سوف تهدنه فعلاً ..

سوف يدفعون الثمن . ( هارى شيلدون ) لا يترك نفسه  
مدبناً لأحد .. وسوف يكتبون إيصالات التسلم بالدم ..

★ ★ ★

ترى من سيتلو الصلاة على روحى ؟!

من سيكسى على ..

حينما أتلئ من المشنقة ؟!

★ ★ ★

الحر قاتط ..



لو قال لى أحد إننى سأختنق لهذه الدرجة فى الولايات المتحدة لأتهمته بالجنون . إن العقل الشرقى يتصور أن كل ما هو خارج إفريقيا وشبه الجزيرة العربية مناطق باردة إلى درجة الموت تجمداً ..

خرجت من غرفتى ووقفت فى النافذة التى فى الممر أحاول أن أجد بعض الهواء .. لا جدوى . دعك من أن هذه الراححة للكريهة لا تختفى .. أنت تعادها فتساها لكن بضع دقائق فى أى مكان نقى الهواء تجعلك لا تطيق شمها من جديد ..

وهؤلاء المجننين يطلقون على هذا الجو ( الصيف الهندى ) باعتباره معتدلاً .. أى اعتدال هذا !!!

نظرت لبلب غرفة ( هزى ) ففكرت فيه نعم على الأرجح .. إنها المثالية صباحاً على أن أسلى نفسى بنفسى ..

ارتديت أخف قميص عندى . أى إنه نلت القميص الرمادى الصوفى طويل الكمين وفتحت زراً واحداً تحت عقى .. سوف تسمحون لى بهذا التحرر للكسالى طبعاً فلن تقبلوا أن أطل بالبذنة وربطة العنق حتى أموت مسلوفاً ..

هبطت فى الدرج شاعراً بالخجل من منظرى المنحل . وفى ضوء المساء كتبت محطة البنزين غافية . ظلام دامس ما عدا بعض أضواء إعلانات الكولا ومهماً يشير إلى مضخة البنزين ..

من بعيد أرى هذه البقاع الوهاجة .. إنها الحشرات حاملة المشاعل بلا ريب . إنها خنافس لكن منظرها يشبه للديدان الطائرة .. هذا الخطأ وقع فيه ( بريك ) القبطان والفرصان الشهير ، عندما رأها فى جزر الهند الغربية فكتب عن ( الديدان المتوهجة الطائرة فى الجو ) .

مشيت وسط المحطة بمعلمها لسكنة كلها بتناصورت نعمة . المتجر الصغير مغلق ومظلم لكن هناك آلة مياه غازية بالخارج .. هكذا بسست فيها عملة معدنية منبهراً بهذه التكنولوجيا التى كتبت بعيدة جداً عنا فى السبعينيات . بعد قليل كنت أعصر فى يدى علبة باردة مثلجة وأصق بها خدى فى حنان ..

من بعيد أسمع صوت نطاط الحقل .. هل هناك حقول هنا ؟ المهم أنها حشرة ليلية ما لا تكف عن الصياح ..

« تقول ( كاتى فعلتها ) يا صبرى ! »

أجفلت ونظرت إلى الوراء فوجدت ذلك العجوز الذي يطلقون عليه ( سكروج ) .. نموذج البخل الذي يقترب مما نسمعه في الأساطير حتى استحق هذا الاسم ..  
لم أكن قد قبلته لكنى عرفت أنه هو .

رجل عجوز مكتنز بشع الخنقة . ربما ( مقرف ) كذلك .  
يبدو أنه يعانى حلة بهلق متقدمة . يبدو كذلك أنه يستشفى من إصابة فاتح جعلته لا يحرك نصفه الأيسر تقريباً .. كان جالساً على مقعد وقد أراح قدميه الموضوعتين في خفين على إريز مرتفع أمامه . وكان يمسك بعطية كولا هو الآخر وينظر لى فى ثبات من تحت حاجبين كثيفين ..

وجد أنه مطالب بتفسير فلرديف بصوت لزج ثقيل :

- « هذا انحفار يحدث صوتاً بأجنحته . والصوت يشبه عبارة Cathy did ( كاتى فعلتها ) لهذا نطق على هذه الحشرة اسم ( كاتى ديد ) . كلما كان حرارة الجو أعلى أمكنت سماع ما فعلته ( كاتى ) ! »

أمعنت الإنصات للصوت .. فعلاً .. لم يخطر لى هذا بهال لكنه تشبيه دقيق :

كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد ..

لكن ماذا فعلت ( كاتى ) ؟ يبدو أن للرقابة حذفت هذا الجزء .. هذا نموذج آخر للفوارق بين ثقافات الشعوب ..  
لم يحسم بعد الخلاف حول ما إذا كان الخروف يقول ( ماء ) عندما لم ( باء ) عندهم . يومتهم تتساعل ( من Who؟ ) ، بينما عندما تعوى القطعة منادية ( داوود ) والكروان يردد ( الملك لك لك ) ..

قال العجوز :

- « البعض يقوم بعد النفعلت خلال ١٥ ثانية .. هلم .. جرب هذا .. »

نظرت له فى غباء ثم رحت أنظر لساعتي المضيئة .  
ولحد .. اثنان .. ثلاثة ..

- « أربعة .. »

- « أضف لهذا الرقم أربعين تحصل على حرارة الجو ! »

لأن حرارة الجو ٤٤ مئوية ؟ سبحان الله ..

« هذه الحشرات حساسة للحرارة فعلاً .. سوف تجد أنها تكرس عندما تقل حرارة الجو عن ١٥ .. إن الطبيعة كتاب مفتوح يا صبي .. »  
صبي ! لم يطلق على أحد هذا اللفظ منذ كنت في العشرة ..  
برغم كل شيء أسعدني أن هناك من يكرمني مثلاً إلى هذا الحد . ربما كان القميص الرقيق الذي أرتديه هو السبب .

راح يحكى لى الكثير عن الصحراء وعادات الحشرات حتى فتت فعلاً .. بصوته الثقيل ( المثلول ) يحكى لى حتى بدأت أسترجع للدرس القديم : يمكنك أن تحب أى إنسان مهما كان شكله إذا نفوت من روحه .. هذا الرجل ليس سيئاً .. معظم الناس طيبون .

إلى أن تقرب من مصالحهم بشكل خطر !!

سكنى عن موطنى وعن سبب قومي فحكيت له ما تيسر ..  
قال لى :

« حر لعين .. كنا نعيش الصيف الهندي لكن الطقس قلب فجأة . فى سنى يصير الحر عذاباً مديماً .. البرد كذلك .. باختصار أنت لا تطيق أى تغير فى حرارة الجو يا صبي .. »

ثم فكر قليلاً وأضاف :

« كل شيء يتغير .. البلدة سوف تركل الصندوق قريباً .. أشعر بهذا .. ( لوسيفر ) المعجوز قد جاء بتقاضى حقوقه .. فلنكن إن لم يحدث هذا .. »

كنت أعرف تعبيرات الغرب هذه أو بعضها .. يركل الصندوق أو يشتري المزرعة معناها الموت . بيعثر الفول معناها أنه عصبى .. بينما يواصل الرجل الكلام :

« يقولون إننى أهلك وغد يمكن أن تجده على الحدود الجنوبية .. ربما هم محقون .. لكن فى منى هذه يصعب أن تجد صديقاً غير المال يا صبي .. إنه لا يكذب عليك ولا يسرقك ولا يتخلى عنك .. ولولا المال لذى أملكه لأكونى فى الصحراء لكاتب البرية .. هذه المحطة والموتيل هما ما خرجت به من مشوار حياتى . وأنا مصمم على ألا أفقدهما إلى أن يلقوا بى فى القبر .. »

ثم سألنى فى لهفة :

« هل معك سجائر ؟ »

« لا .. ولو كان معى فلن أعطيك .. »



« هذا الطبيب اللعين يصر على أن أمتنع عنها .. عرضت عليه مالا مقابل أن يسمح لى بالتدخين لكنه رفض وبعد هذا يقولون إن ( سكروج ) العجوز أبخل وغد فى الولايات .. »

ثم نظر إلى الأفق الشبحى المغطى بظلام ، وقال :

« فى يوم من الأيام كل هذا هو الغرب الحقيقى .. حيث الرجال رجال حقا . يؤمنون بمقولة واحدة .. »  
قلت مقاطعا :

« على الرجل أن يقوم بما يجب على الرجل أن يقوم به ' »

نظر لى لوهلة فى ذهول وقتل :

« يا للشيطان لست غيبا كما تبدو يا صبرى .. من أخبرك بهذا ؟ »

★ ★ ★

( جونى ) أمسك بالنقوس واعرف كماتك جيدا ..

إن الجحيم قد تفجر فى ( جورجيا ) والشيطان يوزع أوراق اللعب ..

قلو فزت لربحت هذا الكمان الجميل المصنوع من الذهب ..

ولو خسرت لظفر الشيطان بروحك !

★ ★ ★

صحوت من النوم متعكر المزاج . أى إتنى صحوت بحالتى الطبيعية .

لكنى لم أحب جو الغرفة عندما صحوت .. حرارة جدا رطبة جدا .. فالشمس تدخلها بحرية تامة عبر الستائر والنافذة مفتوحة .. جو عام من اللزوجة والتعاسة دعك من كثرة الذباب وهو ذباب صحرلوى شرس ..

الرائحة الكريهة الغامضة تتسرب من النافذة .. وهذا لم يجعل الحياة لروع ..

وقلت لحك رأسى ربع ساعة على الأقل ثم اتجهت إلى الحمام الصغير الملحق بالغرفة ..

نظرت لوجهى فى المرآة .. ثمة شيء غير طبيعى .. وضعت عويناتى ودفقت النظر .. نعم .. هذا هو السبب .. شفتى السفلى مجروحة دامية .. لو شئت للنقة فهذه

عضة . عضه تلقاها اللحم الطرى وكادت تنزع منه جزءاً . الغريب أننى لم أشعر بأى ألم ..

فى البدء شعمت تلك الرائحة العطرة الساحرة ، ثم شعرت بحركة فى الغرفة فخرجت .. وجدت تلك الفتاة ( بقرشيا ) .. الفتاة باردة الطباع إيها . كان تحمل مكنسة وتقوم بعملها بحماس بأن تكوم الغبار تحت البساط .

شعرت بهرج لآننى كنت أقف بانغلة الداخلية وسراويل المنمة . وادعشنى أنها لم تفرع الباب . ثم وجدت إبه لا داعى للخروج لأنها لم تلاحظ وجودى أصلاً .. فلو وقعت فى طريق مكنستها لأخفتنى تحت البساط أنا الآخر .

التفتت حاجيتى المكومة على الفراش فالتفتها إلقاء فى خزانة الثياب ثم شدت الملاءة وجهها لم يتغير لحظة

قلت لها فى هرج :

« معذرة يا أنسة ! صباح الخير . »

« صباح .. »

قالت دون أن تنظر لى . فقلت فى هرج أكثر وأنا أدير لشفتى .

« هذه قبلة وجدته .. »

نظرت لى فى برود .. كأنها تحاول استبعاد كل ما لا يمت لموضوع السؤال .. أى إيتها وضعت على جسمى ووجهى ملاءة سوداء فلم تبق إلا شفتى .. ثم قالت بهذات البرود :

« هذه قبلة .. هى قبلك وأنت نائم ! »

عن تتحدث ؟ معجبة خفية ؟ هل بلغ بها الوله بهى هذا الحد ؟ أعترف فنى لمتك ثغراً جميلاً أب فخور به .. شفتين رقيقتين هما الشيء الوحيد الجميل فى وجهى لكن إلى هذا الحد ؟

« قبلة .. »

رأت الغباء على وجهى فقالت :

« بقية قبلة طبعاً .. ! إيتها تعيش هنا .. كلنا جرب هذا »

ولمزلت إلى شفتها لم ألت ندبة خافتة هناك .

« .. هى نوع من قبي تتسلل حيث يرقد النائمون وبعضهم فى شفتهم .. يبدو أنها تفرز مخدراً ما لأن أحدا لا يلاحظ هذا إلا فى الصباح !! »

مثل الوطاويط مصاصة الدماء التي تخدر الجلد فلا يشعر  
الضحية بأنه يتغيب وأن الدم يؤخذ منه .. هكذا قلت  
لنفسى .. واقتصررت للفكرة ..

« هل .. هل تصيب مرضًا ما ؟ »

« أنت لحدى يا ( توك ) »

استجعت ما أفكره من طب المناطق الحارة ، وقلت :

« بفعل أعرف بقّة ( ترياتوما Triatoma ) التي تعض  
الناس في شفاهم وتقل لهم مرض ( شاجاس Chagas )  
العين الذي يؤدي بحياة العثم الشهير ( داروين Darwin ) ..  
لكن معلوماتي أنها موجودة في أمريكا الجنوبية والوسطى  
فقط .. لن بقنا هذه بقّة حمقاء أو متسللة تطلب الهجرة .. »

هذه القنّاة تفعل الناس كمجانين إلى أن يثبت العكس ..  
وجدتني أقول لأميباء غريبة على غرار ( ترياتوما )  
( داروين ) و ( شاجاس ) .. إلخ . فمارست لملوبها  
المعتقد . ظلت تصفى إلى متظاهرة بأن كلامي الفارغ مهم  
جدًا ، ثم لم تعلق ونصبت الأمر برمتة ..

أضافت وهي تتجه للباب :

« صديقك .. فلك الأسفر .. »

« هل مات ؟ »

ضحكت في ربع ثانية ثم عادت لبرودها ، وقالت :

« سوف يتعنى ذلك .. لقد تشاجر في الملهى وقبض  
عليه المأمور . إن ( بيكر ) العجوز كان ينتظر هذه  
الفرصة منذ رأى وجهه !! »

وغادرت الغرفة ..

بقّة القبلات أعجبت بي !

هذا يدعو للفخر ..

★ ★ ★



### -3-

أدور حول السجن راسماً خططاً جهنمية

هت نفذة عليها قضبان وهي منخفضة . لن يحتاج الأمر  
إلا إلى جولة قوى وأنشطة وخطط لربطه بتقضبان ثم  
لركض متتبع النفاذة يخرج المأمور ليطلق على الرصاص  
لكي ربه قتيلاً ثم يفر وحلفى على فرس ( هرى ) لنا الآن  
( ليسبيرادو Desperado ) يفر إلى الحدود المكسيكية فصلى  
من أجل ي أمه . صلين من أجل يا كل حملوات أريزونا .

ترى من سيبتلو الصلاة على روحى ؟!

من سيبكى على ..

حينما أتدلى من المشنقة ؟

كنت أفكر فى المشكلة الوحيدة التى تعوق تنفيذ هذه  
الخططة ألا وهى العثور على حبل . عندما وجدت اتى لقف  
امم ( هرى ) " هو بعينه لكنه مرهق مجهد الشيب متورده  
العيين دعك من الدم الجاف على حاجبيه

« هل .. هل تركك ؟ »

« طبعاً .. كسان يريد تأديبى فى الحجز ليلة على سبيل  
التهنيت .. وقد انقضت .. »

« جنت لأخرجك لو أدفع كفالة أو . »

« لم يستأهل الأمر هذا كله لم أطلق الرصاص على  
مدرسة نطفال . بالمناسبة ماذا أصاب شفتيك ؟ »

« دعك من جمال مظهرى ولتعد بك للموتيل . لانك  
تبدو على وشك الموت .. »

لم تكن سيارته هنا لانه تركها أمس أمام ذلك العلهى  
لذا مشينا فى شوارع المدينة التى تحرقها الشمس قال  
لى وهو يحك ثيابه :

« يبدو أن البراغيث مبعوعة فى هذه البلدة . لهذا  
يتقون بها فى ذات الزنزامة التى كنت فيها »

« قالت لى ( باتريشيا ) إن عقاباً أقطع من البراغيث  
ينتظرك .. »

« لم تكذب كثيراً .. »

وراح يحكى لى ...

« تعلمت كيف أفسد أكراس المنوم لزوجي .. وحينما ينتظم تنفسه كنت أغادر البيت .. أهرع في الظلام إلى ذلك المكان الذي اعتدنا أن نلتقي فيه .. »

صب لها القس بعض الشاي ثم عاد لمقعده ..

إنها تواصل الاعترافات المذهلة وهو يشعر بالتهلع يوماً بعد يوم لكنه لا يعرف كيف يتدخل . هذه أسرار خصوصية لا يحق له أن يخبر بها طرفاً ثالثاً .. لو جاءك ( سيرون ) وأخبرك أنه ينوي إحراق ( روما ) غداً فهل تفضي السر ؟ فتون الاعتراف بقول : لا ..

كانت ( كلاريسا ) الزوجة الحسنة تواصل الكلام وهي تمسك بقذح الشاي . الرجل في يدها جفت القذح يحدث رنيناً منتظماً .. وقالت :

« لم يحدث شيء . اضني أنه لم يحدث شيء مما قد يخطر لك بهال . كنا نرقص في دائرتين .. رقصة خاصة لم يعلمها لي أحد لكنني وجدت نفسي أجيدها .. نرقص .. نرقص حتى يغلبنا التعب .. »

ظل صامتاً ثم قرأ السؤال الذي كان يرضيه :

« لا شيء من تلك الأشياء المشينة ؟ أنت تفهمين قصدي .. »

« لا .. أعرف أنك تتحدث عن طقوس الخصوبة وما شابه .. لا فقط للرقص . ثم كان هو يظهر .. »

كان قد سمع هذا الجزء من قبل .. لذا أشار لها بيده كي تتجاوز .. فقالت :

« هكذا يستمر الحال عدة أيام . حتى بدأ الأمر يتخذ طابعاً مثيراً أكثر . أنت تعرف حالة العيوبية والذهول التي يسببها الرقص المتواصل لهذا بدأ مع الوقت أنسا منومون مقتطعين وأن بومسنا عمل أي شيء .. وهكذا بدأ الجزء المرعب من الأمر وهو السبب الذي دفعني للغدوم هنا .. لقد جننت كي ... »

« كي ماذا ؟ »



« كي قلم . كنت منهكاً .. ورحلت لتعقد الزنزارة الصغيرة التي ألقى بي فيها الرجل .. »

كنت أمشي مع ( هاري ) تحت ضوء الشمس الحارق وهو يواصل حديثه لا صوت سوى أزيز الذباب .. الشوارع خالية تماماً فقط يمكنك ان تسمع صوت الطيور المعدنية اياه من حين لآخر تمر بف سياراة لا ترى قائدها ..

### ثم أردف :

- « كن هناك في الركن نوح حشبي طويل معق شجدار في وضع أفقي وخطر لي ان هذا على الأرجح فراش اتجهت نحوه في الصوء اتخذت الخبث من مصباح واحد وعشت بيدي كي أسفه ها فوجيت بأنه رجل نائم ! رجل نائم على نوح حقيقي رجل نحيل جد وقد ساعد لون ثيابه مع تعطينه لوجهه مع التوضع الغريب الذي اتخذ لل نوم ، في إقناعي بته لوح حشبي طبعاً أصابني التهنع فتراجعت ثوراء نهض هو من الفراش . كن أكثر من رايت في حياتي حولاً ، حتى انه كن بوسعك الفرار بين القصص لوار . له وجه متف ذلك الحمس قال لي .

- « لا تحف من ( سام ) أيها الغريب إن لي هنا فترة لا بأس بها حتى نسيت أن هناك بشراً بالخارج على كل حال أعداء ( بيكر ) اتعجوز هم أصدقائي »

جلست جواره على ذلك اللوح الثقلي .. هنا وجدت لهلعني أن هناك شيئاً راقداً على الأرض ، وقد مدهمت الإضاءة الخافتة في ألا تبينه ..

ركعت على ركبتي التفحصه فوجدت أنه جسد بشري جسد منكوم كحرقه ثياب عذ قدمي بالتضبط مددت يدي وهرزته فشعرت كأنما أمز كومة ثياب بالفعل وأحيراً انقلب على ظهره فرأيت الوجه الميت للشاحب تحسنت عنقه فلقم أفني لم أستشعر نبضاً ..

نظرت لجلري في هلع ، وقت :

- « جارك في الزنقة ميت ! »

قال بلا مبالاة :

- « آه ! هذه الأشياء تحدث .. »

- « ولا تبالي ؟ »

« آه .. حقاً .. »

رحلت أحاول تقليب الجثة المنقاة عند قدمي . يجب أن  
أنادي بالمأمور ما نوعية هذا الحجز الذي يترك للجثث  
فيه حتى تتعفن ؟

في اللحظة التالية فتح هذا الرافد عيني وجنس .. لم  
يفعل هذا ليحيفني ولم يكن يمزح . فقط جنس كأنه كان  
يمارس عملاً طبيعياً معتاداً ، وقال :

« آه نعم أعداء ( بيكر ) فعجوز هم أعداؤنا »

ثم سدا الصمت كانت هذه هي الطامة الكبرى . تخيل  
ليلة مع هذين العجبيين ولم يتبدل أية كلمات أخرى ،  
ظهر أنني لم أقم ..

في الصباح فتح المأمور الباب الحديدى حاملاً صحيفة  
عنيب قهوة وبعض الخبز الجاف ، وأشار لي بالشئ منزلة  
فقللاً :

★ ★ ★

« لا تاكلوا أكثر من حاجتكم ! »

عند هذا الحد كان القسم قد بلغ نهاية تحمل جهازه  
العصبي . أوع ' وأفرغ معدته في عنف  
ثم نهض وهو يجفف ثلغتيه وهتف :

« أنا آسف .. فعلاً آسف !! »

عاد إلى الداخل وأحضر مكنسة وممسحة بينما  
( كلاريسا ) جالسة لا تتحرك ولم يبد أنها اهتمت بشئاً  
بكونه أفرغ معدته أمامها راح ينظف وهو يرتجف  
وفي النهاية عاد ليجلس وشرب جرعة ماء ، وفعل :

« إن معدتي تقلصت .. »

ثم هتف في هنع وقد استعاد المشهد :

« هل هذا هو ما كان يحدث كل ليلة ؟ »

« ثلاث ليال متوالية حتى قررت أن أتى وأخبرك بهذا

كله »

« هل تعرفين ما نقولين ؟ إن هذا لخطر اعتراف سمعته في

حياتي .. »



- « لكنه سيظل سرًا .. أنت وحدك بذلك »

- « هذا الذي يحدث منف للطبيعة . إن هذا الشيء يأمركم بخرق كل قواعد البشرية المتعارف عليها حتى بين قبائل (البوشمان) وهل شاركت في هذا النشاط ؟ »

- « للأسف نعم .. »

- « وراق لك الأمر ؟ »

- « لم يكن شيئاً على الإطلاق .. »

- « وملا عن هذا الشخص المختار ؟ »

- « كان يلهو في النهاية وهو يتسم . كن بخير .

لم يؤذ ما حدث على الإطلاق .. »

- « وكان هو ذات الشخص كل ليلة ؟ »

- « كلا . كان يتبدل وفي الليلة الثانية شركا مختار  
لليلة الأولى ذات الطقوس مع شخص آخر »

فكر النفس قليلاً . وراح يحذف صدره المبتل ثم قال :

- « إن هي لعبة دوارة كتكر على الموسيقى لا بد  
أن يلقى عليك الدور يوماً ؟ »

قالت في هدوء دون أن يبدو غنى وجهها أي تفعل :

- « لا . الشخص المختار هو من تلك المجموعة ذات  
البطون الكبيرة . أعقد أن هناك لشخصاً تم إعدامهم لهذا »

إن الأمر سيبن . فكر النفس . إنه أسوأ من أي شيء  
قرأ أو سمع عنه في ألعب طقوس عبادة الشيطان في  
التاريخ . العريب أنه صر الآن يتمنى أن يكون الأمر  
متعلقاً بعدى الشيطان . على الأقل يمكن مجابهة هؤلاء  
وأساليبهم معروفة ..

قال لها :

- « حسن . هل عدت لهذه اللقاءات بعد مجيئك لى ؟ »

\*\*\*

- « لا .. »

قالتا ( هارى ) وهو يفتح باب غرفته فى الموتين .  
وأردف :

- « لا . لم يقدم لى إفطاراً . قال إنه مخصص للأخوين  
( كاتلان ) . إن هذان كتاب أخوين . قال وهو يناولنى

حاجبتي إتهما فتبان طيبان لكنهما يملكان ميولا صبيانية  
مثلى أحدهما يهوى النظار بالموت لعدة ساعات حتى  
إن أكثر من موطن مذعور اتصل بالأمور ليخبره برؤية  
جثته الآخر يستقل جسده الرفيع فى التولوى ويفزع  
الناس عندما يتحرك إتهما صبيان مزعجان وفى الممجن  
خير علاج لهما لكنهما يعانين حانة مزمنة من العودة  
للسجن كما خرجا منه . يبدو أنهما يستلته على كل  
حال أنت تعرف هذه العلاقة التى تنشأ بين السجين  
والسجان مع الوقت .. »

ثم أضاف ( هارى ) :

« وفى اللحظة التى خرجت فيها إلى الشمس وجدتك  
أمامى .. »

« لم أعرف أنك مسجون إلا صباح اليوم . »

« لكن ماذا أصاب شفتك ؟ »

« بقية خطر لها أن شفتى جميلة . هذا نوع من الإطراء .. »

« وهل هذا خطير ؟ أعنى هل يمكن أن تكون حقتك

بالصم ؟ »

« لا أعتقد .. لكن هناك مرضاً مرعباً ينتقل بهذه الطريقة ..  
سوف أرى .. »

ثم توقف ( هارى ) وهو ينظر إلى الفراش الذى لم يمس  
ليلة أمس فى طرفه ، وسألتى :

« بالمناسبة . هل رأيت ( باتريشيا ) اليوم ؟ »

★ ★ ★

« نعم .. مرة أو اثنتين .. »

استشاط النفس غضباً . لم يكن ممن يفضون بسهولة  
لكن الأمر استفزه ، فقال لها :

« أنا لا أتعلى على الخطيئة .. إن الإنسان واهن  
بطبعه .. لكنى لا أبتلع أن يعترف المرء بآثمه وهو مستمر  
عليه مخلص له .. »

للمرة الأولى بدا تفعل على وجهها فرفعت عينين  
دامعين له ، وقالت :

« أنت لن تفهم يا أبت . إن الأمر أقوى منى .. يصعب  
أن تتصور الأمور بمسيرة وأنت جالس هنا .. وعندما تكون

هناك تحد أنه من المستحيل أن تفلت . كما يبتذل مدمنو المخدرات الوعود أمام الناصحين . فبذا انفردوا بأنفسهم وجدوا أن الأمر صير حلاً .. »

لكنه كان يفهم أن هناك سبباً آخر . لقد رأى خطاة كثيرين ويعرف أن ما يدفعهم للاستمرار في الإثم هو تلك الشعور القامر بأنهم تلوثوا فعلاً . الثوب الأبيض صار أسود ولم يعد من الممكن غسله . إنهم يفقدون احترامهم وتقديرهم لذواتهم من ثم لا يرون بأساً من التمادي .

كان يعرف أن الخطوة الأولى هي إعادة ثقة هؤلاء بأنفسهم وبأن الله سوف يغفر لهم إذا هم تابوا فعلاً ..

لكنه - للمرة الأولى - يشعر بأنه غير بارع .. إنه واهن عاجز عن مساعدتها أو اتخاذ قرار ..

ما فتنه له كان مفزعاً وهو يدعم ذلك الشعور بقرب النهاية الذي يمضيه منذ البداية ..

« لو كنت تؤمن بثموجية النهاية مع الشيطان أيها الأب فتنبأ بلا يبدو أنك ستعيش لتراها !! » .. قالت لها الامور يوماً ويبدو أنه كان على حق فعلاً .

المشكلة هي أن جنود الخير مرتبكون متفرقون عديمو الخبرة بكيفية مواجهة موقف كهذا . دعك من أن بعضهم مثل الامور لا يبدون جنود خير على الإطلاق ..

قال لها بصوت مبحوح :

- « للمرة الأخيرة أطلب منك هذا انطلب . لا تذهبي ههنا أبداً لو ذهبت لليلة أو أية ليلة فاعلمي أن بسبي مغلق من دونك .. »

★ ★ ★

« الأب ( ماكنزى ) ينفذ الفيل عن يديه وهو يلحق قبرها ..

فلم يتم خلاص أحد ..

هؤلاء الناس الوحيدون . من أين يأتون ؟ ولأين ينتمون ؟ »

★ ★ ★

- « هي التي أخبرتني بأنك مجنون »

ليتم ( هارى ) وتحسن الجرح على جبهته ، وقال :

« فتاة عملية جداً .. ما إن نشبت المشاجرة حتى تصرفت  
دون أن تنتظر لتعرف ما حل بي .. »

« هكذا تفكيركم علامة معشر الأمريكيين .. أو هذا ما  
أعتقد .. لعل سبب ارتباطي بك هو أنك لأمريكي يحمل قلباً  
مصرياً .. ولكن دعني أذكرك من التورط مع هذه الفتاة ..  
إنها في رأيي تمك ذات رقة وحنان سمكة القرش .. »

« وهذا سر سحرها .. »

ثم تأمل وجهه في المرأة المعلقة على الحوض ، وقال :

« أنت ( ميزوجين misogynic ) حقيقي .. تتوقع دائماً  
أن المرأة كائن ( آخر ) غموض .. خطر داهم .. »

« ولكن على حق .. من المؤسف أنني لكون على  
حق .. »

فعلماً من المؤسف أنني لكون على حق ..

★ ★ ★

#### -4-

كاتي ديد .. كاتي ديد .. كاتي ديد .. كاتي ديد .. كاتي  
ديد .. كاتي ديد ..

★ ★ ★

هل هي أنت ؟

كنت جالساً في الكافيتريا مع دخول المساء أتناول طعام  
العشاء عندما رأيتهما . ( هاري ) لم يكن هنا  
ولا ( شولترز ) .. كان هت رجل أو اثنين من الذين مروا  
بالبدة عابرين فقررنا تناول طعامهم تلك الفتاة  
( بتريشيا ) تثرثر معهما وهي تمد يدها في جيب  
المريولة الذي تضع فيه ....

عندما رأيتهما ..

دخلت الكافيتريا رقيقة كتعلم شفاقة كلزلان المساء .

هل هي أنت ؟ أعرف أنك قدمة لنقاء اتفاقا عليه .  
لكني لم أتصور أن يحدث عتاً وفي مكان عام . ثم نظرت



إلى العلامات الخمس فلم أجد أيا منها . كلا . لست أنت  
ولكم يحزننى هذا ..

الفقاة يرتدى ثوبا صيفيا خفيفا يجعلها أكثر شفافية  
ولها ذلك الأنف العظمى البارز نوعا الذى لا أرى جمالا فى  
أى وجه ما لم أراه . التحول .. العينان المسحورتان . الأصابع  
الطويلة للحيثة والمعصم الذى ترى كل وريد فيه . دعك  
من الإرهاق العام . إن الحر يقتنها برغم أن السماء قد  
جاء ..

مرت بجوارى فشممت أقوى رائحة عطر شممتها فى  
حياتى عندما يخرج للعطر من دائرة العطر إلى دائرة  
المخدرات .. ما اسم هذا الشيء ؟

الحق أننى رحت أقطع الحساء بالمكين وأشرب الخبز .  
وفى سرى شعرت بذهول لأننى ما زلت حيا إلى هذا الحد .  
فجأة يتزعنى أحدهم من وراء المحهر الذى أراقب به  
الحياة ليضعنى تحته . التحول من مراقب للجرائم إلى  
جرثومة سعيدة ..

كأنت تعيش بين المصعد . ثم نظرت لى فى حيرة  
تتساءل لماذا انظر لى بهذا الاهتمام

جلست إلى منضدة بجوار النافذة . منضدة عليها  
أباجورة منضدة تؤذى العين لكن بدا أنها لا تبالي بها ..  
لراحت الستار لترمق النيل فى الخارج فى نهم . اتجهت  
لها المساقية فرسمت لها بيدها شكل قدح قهوة . وتكورت  
أقدامها لترسم الدخان الخارج منه ..

ثم نظرت لى من جديد ..

نهضت بلا تفكير واتجهت إلى منضدتها .

رفعت نحوى عينيّن متمسكتين . فقلت وأنا ألوم بعمسى  
على هذا التهور :

- « معذرة أعرف أن طلبى غريب . هل تعرفين  
د. ( رفعت إسماعيل ) ؟ »

نظرت لى فى غباء .. فأردفت :

- « هل سمعت عنه ؟ »

- « لا .. »

- « إذن هل تمنعين فى أن تعرفيه ؟ »

نظرت لى وبدأت تفهم وتشرق وجهها نوعاً .. فقلت فى  
كيسمة .

- « لنكن عمليين . أنا لن اترك هذه الفرصة تفلت أبداً  
لأننى قد لا أقابلك ثانية . ربما كان فى شخصى ما يثير  
اهتمامك . لنضع المظهر جانباً لكى أتحدثك أن تجربى وفى  
النهاية ان تخبرى شيئاً .. »

قلت فى دهشة :

- « ما هذا الذى تقوله ؟ »

- « أقول بنى نصبت من الفرص فى حياتى ما يكفى لجلس  
أعرف الفرصة الثانية انموشكة على الضياع . إنه ذلك  
الشعور بئسك جنت هنا بذات لسبب قدرى معين . لا أتحدث  
عن هيمى بك فأتا لم أرك إلا منذ ثلاث دقائق . أتحدث عن  
حاجتى إلى معرفتك أكثر .. »

قلت وهى تضحك :

- « بالله عليك اجنس . لا يحتاج الأمر إلى خطبة  
إغريقية .. »

وهكذا جلست .. وكان أول ما فعلت هو أن اطلقت  
الأباجورة قبل أن أصاب بالنسى ..

بدأت تسألنى عن نفسى فأجبت بأمانة ..

جاءت الفتاة ( باتريشيا ) بالقهوة ، ونظرت لى بخبث .  
ثم وقفت تصفى السمع فى صفاقة . فنظرت لها قائلاً :

- « هل تريدن شيئاً ؟ »

- « هل أضيف الحساب على الفاتورة يا دوك ؟ »

- « العشاء ! طبعاً .. أنت تغطين هذا دوماً .. »

- « بل أتحدث عن القهوة . قهوة الأنسة ! »

هذا نوع من الإحراج للمتحدث لى فى غظة أن تفعل .  
لئما اتصرفت مسئت الفتاة عن حياتها . من هى ؟ من أين  
جاءت ؟ لا بد أن زهرة نرجس تنهدت فى مكان ما فخرجت  
هى من بين بثلاثها .. ربما جاءت من حيث تجسر النمرور  
وحيث يحلم النمل الأخضر .. من حيث تتوارى الأقمار .  
كان ( جحا ) يعتقد أن الأقمار القديمة يتم تكسيدها ليصنعوا  
منها الأكلة . لا بد أنها جاءت من بقايا الأقمار هذه .

قالت بصوت لا يمكن وصفه :

« في الحقيقة نى حيدة لا أريد الكلام عنها . ثقتى انى أحاول أن أنقى بها وراء ظهرى . ثقلى إننى من ( المولودين من حديد ) دعنا لا نتحدث عن هذا .. »

« واسمك .. هل لديك واحد ؟ »

« الفضل لن تلاقينى ( ماى ) .. »

« ليكن .. أى شىء .. »

نظرت حولها لتتأكد من أن أحدا لا ينظر ، ثم قالت :

« لعل تسمعنى عن السبب الذى جعلنى أقبل عرضك بالتعارف .. »

هرزت رأسى فى عدم فهم . حسبت أن السبب لنى كنت راقعا لو على الأقل مقتفا ..

قالت باسمه :

« الحكاية هى انى نبحث عن عريس وأنت تبدو صالحا .. هل تقبل الزواج منى ؟ »

نظرت لها فى غباء ( رفعت ) العجوز لا يقابل إلا المخابيل . هذه عادته .. إن كنت ربحا فقد صلافت إعصارا . أنا الذى حسبت تصرفى مجنونا بما يكفى ، فوبلت بما هو أكثر جنونا ..

قلت لها وقد توترت :

« ماذا تعنين ؟ أنا لم ألتك إلا منذ ربع ساعة .. »

« هذا كاف . أنت تعتقد أنه من واجبك أن تعرفنى أكثر . وقد لفتعت .. »

كنت لها فى حزم وقد صعد الدم إلى رأسى .

« أنت تعبين بى . أنا أسف كالعادة يعتقد المرء أن الرأس الجميل يحوى عقلا أجمل ، لكن هذا خطأ فى كل مرة .. »

عادت تقول بإصرار :

« لا مزاح فى الأمر . من فضلك . أنا جادة تماما سوف يزوحنا قس القرية ونمضى شهر الصل فى هذا الموتيل .. »

قلت لها وأنا أنهض :

- « اسف . دعك من أننى أجنبى وهناك إجراءات معقدة للزواج .. لكنى أرى الأمر كله مزحة .. »

وتركتها جالسة حيث هى وجلست بعيداً أحاول ألا أنظر باتجاهها ( باتريشيا ) اللعينة رفعت الأطباق التى كنت أكل منها وهى ملينة ليس على أن أتحمل جراح الكرامة والقلب فقط . ولكن يجب أن أتحمل الجوع كذلك .

★ ★ ★

كاتى ديد . كاتى ديد كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد ..

★ ★ ★

مرت بى ( باتريشيا ) فقالت دون أن تنتظر لى شيئاً لم أتبينه . لا صعوبة على كل حال فى استنتاجه . لا بد أن هذه هى النسخة الأمريكية من تعبيرنا نحن المصريين ( يا ميت خسارة على اللى حب ولا طالش ) إنها تسخر منى ..

مرت دقيقة . ثم رفعت رأسى على صوت يقول :

- « لكنى متزوج !! »

نظرت فى دهشة إلى مصدر الصوت فأصبت بهللع .. كانت الفتاة الرقيقة تقف أمام الرجلين اللذين كانا يتناولان الطعام وهى تحاول إقناعهما بشيء . وقد بدت عليهما الدهشة . التفتت إلى الرجل الثانى وكررت عرضها فهتف فى مزيج من الغلظة والمزاح :

- « لا أحد يتزوج بهذه الطريقة ! »

هذه الفتاة مجنونة فعلاً لم تكن تمزح لقد فقدت كل إعجاب بها ليتحول الأمر إلى مزيج من الشفقة والرعب . منذ دقائق كنت أخطب ودها والآن أتجنبها كأنها مصابة بالجذام .. دعك من شعورى بالشفقة لأنها تنزف كرامتها الأنثوية ، بذات الطريقة التى يفرعك فيها مشهد رجل ينزف دمه على قارعة الطريق . لا يجب أن تمر فتاة بتجربة كهذه .. رباه ! لا يجب أن تتعرض فتاة لتجربة كهذه الرجال يتحملون أكثر وجلدهم ثخين بما يكفى . أما هذه .. هنا دخل ( هارى ) المكان وهو يصطر .. ومن خلفه جاء ( شوارتر ) بقدمته للفارعة المهيبة ..



« هاى ( باتى ) .. »

قالها للساقية فربت ببرودها المعتاد :

« هناك فتاة ترغب فى الزواج .. لو كنت تفكر فى الأمر فلا تردد .. »

نظر إلى ( هاى ) الواقفة ثم نظر لى فى عدم فهم . فى هذه اللحظة رأيت الفتاة تأتى من حيث كانت ، وتقف أمام ( شوارتز ) ، لتقول فى أدب :

« سيدى .. هل أنت متزوج ؟ »

« مطلق يا بنيتى لكن هل من سبب يدعوك لهذا السؤال ؟ »

« هل ترغب فى أن تتزوجنى الآن ؟ »

نظر لى ولها ولد ( هاى ) فى حيرة ، فقال ( هاى ) :

« هذا الرجل يدعى ( رفعت اسماعيل ) وهو مصيبة تتحرك على قدمين حيثما وجد تجد العراتب والفظائع عندما تكون معه لا تدهش من أن تقابل فتاة تعرض للزواج على أى شخص يقبل .. »

كنت فى سرى أشعر بأن الفتاة ليست مجنونة على الإطلاق .. ثمة سر مهم وراء هذا الطلب . هناك فيلم عربى قديم من بطولة ( ماجدة ) كان عليها فيه أن تظهر بعريس خلال أربع وعشرين ساعة وإلا فقتل حقها فى الإرث . احتمال وارد لكنه خيالى جداً . الاحتمال الثانى هو أن هذه candid camera وهناك من يصورنا خفية ليضحك المشاهدون .. احتمال ضعيف لأن أحدا لا يبالي ببلدة كهذه ..

تجاهل ( شوارتز ) الفتاة واقفة على بعد متر منه ، وقال :

« حكى لى ( هاى ) عن العضة التى تلقيتها فى شفتك . أنا أيضا تلقيت واحدة عندما جئت هنا هل تعتقد أننا فى خطر ؟ »

قلت فى بساطة :

« أنت عالم الحشرات الطبية المفترض أن نخبرنا أنت .. »

« وأنت طبيب يبدو أن الموضوع موزع بيننا فلن يحيب أحد .. »

هنا رأيت الفتاة تدركنا فتعود إلى المنضدة التي كانت تجلس إليها ، فتزيج قدح القهوة .. أبعث الستار قليلاً عن النافذة وراحت تنظر بالبهار غير مهتر إلى أضواء محطة البنزين بالحارج ثم أسدت رأسها إلى ساعديها ونامت على المنضدة ..

قال ( شولوتر ) :

- « هذا الفصل سوف تليق بحالة أفضل .. بيني وبينك اعتقد أنها تلقت صدمة عاطفية ما ربما تخلص عنها حبيبها وظلت تهيم على وجهها حتى جاءت هنا .. »

بدأ لي الأمر معقولا ..

عاد ( شولوتر ) يواصل الكلام :

- « مر ( هاري ) ببلينة عجيبة في الحجز مع هذين الأخوين ( كالاهاان ) مجرد صبيين مزعجين غريبين الأطوار .. إن هذه بلدة غريبة كل ما فيها لا يدريج متى ترمعن لرحيل ؟ »

لم يكن أملك إحابة على أن أنظرها حتى تكفى .. لو كانت هي تلك الفتاة لانتبهت مشكلتي . لكن على أن أنتظر .

« هذا موعد بلا أعذار . موعد يشبه الموت وعليك أن تنبيه أردت أم لم ترد .. »

هذا ما قالته لي .. وأنا أعرف من دون مساو أن هذا صحيح ..

قلت وأنا لحدى في أفق لا أراه :

- « هناك أعمال يجب أن أقوم بها . »

قال ( شولوتر ) :

- « هؤلاء الرجال من ( فينكس ) أتوت غذا .. سوف تبدو ابلدة كساحة حرب .. »

في هذه اللحظة دوت شهقة .

نظر الجميع إلى مصدرها . كانت ( بقرشيا ) تقف جوار تلك الفتاة ( ماي ) وقد سقطت لصحفة التي كانت تحملها ..

الفتاة ما زالت غافية على المنضدة ، لكننا الآن نفهم سبب الصرخة .

( بقرشيا ) تقول في هلع :

- « الفتاة !! لقد ماتت !! »

★ ★ ★

## -5-

« هل تأتي معي ؟ »

كانت ( ساندرا ) تقف هناك في ظلام الشارع والهواء يعبث  
بخصلات شعرها و ( بيلي ) كان هناك أيضا ..

« هل تأتي معي ؟ »

هذا هو العرض .. خذه أو اتركه .. أنت تعرف أنت تريد  
هذا لكن مشهد جثة ( هارلسون ) لا يفارقك ..

قال لها :

« أت أطلب بأن نبتعد .. إن ما يحدث شرير .. شرير  
بحق .. وقد فقدنا ( حيمي ) و ( هارلسون ) . »

قالت في صبر وهي تصفط على كلماتها :

« ( هارلسون ) تصرف بحماسة .. لا أعرف كيف تصرف  
ولا كيف ضبطوه لكن هذا لن يحدث معنا »

« ما زلت مترددا .. »

قالت وهي تستدير مبتعدة :

« كما تشاء . أنا ذاهبة بنفسى . يجب أن أعرف  
ما لأصاب ( هارلسون ) .. من قتله ؟ »  
« سنجد جثتك في الصباح .. »

« سوف يروى لى هذا على الأقل سأعود شبحا  
لأورق منامك للأبد .. »

ولم يتكلم بينما هي تقوارى في ظلال الشارع كان  
يعرف أنه تصرف بجبن . لكنه يعرف كذلك أن الأبطال  
المندفعين ينقون حنقهم سريعا المقابر تعج بجثث الذين  
قرروا أن يبدوا أشجع ..

لحقيقة أن حياته بعد وفاة ( هارلسون ) تحولت إلى جحيم ..  
كابوس مستمر . الأسوأ أنه كان يعاني المركب الفرويدي  
المعروف عندما يموت شخص نطقه فإن هذا يجعلنا نشعر  
بأننا مسئولون عن موته ويقتلنا تأنيب الضمير ..  
( الجثة كانت بلا رأس ولا عنق ولا كتفين ) .

هذا هو الفتى الذى كان مليئاً بالحياة ووساوس الفحولة ..  
ماذا حدث له ؟ من فعل هذا ؟

يبدو أن المأمور يتخبط بلا هدى هذه طريقة قتل أقرب  
لأساليب الوحوش لو كان هناك نمر ظليق فى البلدة  
لأمكن فهم الأمر ..

لكن ( بيلى ) كما قلنا كان يحب ( ساندرا ) وقد شعر بعد  
قليل بأنه نذل هى ذى حبيبته تضى فى النيل وحدها إلى  
أحضر بقعة على ظهر الأرض . فماذا ستقول وماذا ستفعل  
عندما يجدون جثتها غداً ؟ عندما ينظر لك ذلك القاضى  
للصامت - فى مراتك - الذى لا يرتشى ولا يقبل الأعذار ، فماذا  
صالح نقول ؟

هكذا وجد نفسه يمشى فى ذات الاتجاه الذى مشى  
فيه ..

إنها تتجه إلى الجسر القديم قرب المنح .. هذا هو مكان  
الاجتماعات المعتاد . لكنها سبقته .. إذن عليه أن يجتاز  
طريقاً مختصراً ..

كانت ( مخالب الشيطان ) هى تلك الأخاديد الصغيرة التى  
كتوا يلعبون فيها فى طفولتهم اسم شاعرى جداً يصف  
تلك المجارى المائية الجافة التى تتشعب حتى تصل إلى  
المنجم . وهى ليست طريقاً سهلاً لكنه يختصر الوقت .  
( بونج بونج ) . صوت الفرعات المعدنى هذا .

إن الليلة مقمرة ، لهذا بوسعه أن يجرب اجتيازها .  
سوف يلحق بها هناك فى ذات لحظة وصولها .  
ولسوف يراقب معها الطفوس لدقائق ثم يقنعها بالعودة  
معه ..

★ ★ ★

من بين عينيه المغمضتين شعر بها تتحرك بحذر فى  
الغرفة ..

تتحرك بخفة . ترتدى ثيابها ثم تتنعل الحذاء الخفيف ..  
ومن حين لآخر ترميه بنظرة عابرة لتتأكد من نومه

كان الأستاذ ( رتشاريسون ) الآن يرى المشهد الذى فاتته  
حوالى عشر مرات من قبل ، والسبب هو جرعة النوم  
التي قدسها فى شرايه كل ليلة .. لكنه الليلة قد بدأ يشك فى



الأمر .. هذا النوم العميق كل ليلة هو الذى لم يكن ممن يجيدون النوم قط ، ثم الأفراص التى ما انفكت تنقص فى الزجاجية فى الحمام عملية حسابية بسيطة دلته على الحقيقة ( كلاريسا ) تخدعه كل ليلة ولكن ما السبب ؟

هذه تحركات من هو مزمع على الخروج .. ولكن لأين ؟ هكذا ظل يحبس انفعالاته ويتنفس بعمق وهدوء .

إلى أن سمع الباب يفتح ..

عندها وثب من الفراش وجلس يفكر . من الصير أن يلحق بها على الأرجح . إنها أخف منه وتتحرك برشاقة .. من الجلى أنه لن يجدها فى الظلام .. سينتظر هنا حتى تعود . وسوف يطلب منها تفسيراً

( كلاريسا ) ؟ الرقيقة الحسنا ؟

كان يحب أن يتوقع هذا . لم يكن حظّه حسناً قط لهذه الدرجة من قبل .. كان هذا أجمل من أن يكون حقيقة .

★ ★ ★

فرغ المأمور من فحص الجثة ..

ثم جفف عرقه ودار ليحلس على أول منضدة قابلها .. إنه فى موقف عسير لكنه لن يعترف بهذا أبداً .

قال وهو ينظر إلى الشرشف كأن لحدثاً مهمة تدور عليه :

« ماذا شربت يا ( بلتى ) ؟ »

قالت الساقية التى تصالكت نفسها أخيراً

« قهوة .. »

« وهل بدر منها شيء غريب ؟ »

قال أحد الرجلين اللذين كذا فى المكان واللذين رأيا كل شيء

« شيء غريب ؟ لم لو قط فتاة أغرب أضواراً من هذه »

قال ( شوارتز ) فى هدوء :

« لقد عرضت الزواج على كل رجل فى هذه الكافتيريا .

خلال خمس دقائق ! »

نظر المأمور لنجثة التى ظلت فى وضعها السابق على

المصدة . وإن كتبت عيناها مفتوحتين تحلقان فى لاشيء

لجمال النائم . هذا ما جال بذهنى وقتها . أو ( الموت يلىق

بها ) وهو عنوان فيلم أمريكى ستمعته بعد هذه الأحداث

بأعوام هـ جمال خلق ليموت ومع الموت يصير في أفضل حالاته ..

قال بصوت منهب :

- « ( متيف ) .. هلا فتشت حقيبتها ؟ »

اتجه انفتى المتبحر بعث في حقيبة الفتاة ثم غمغم :

- « لا أوراق .. لا رخصة قيادة .. »

كنا نعرف هذا لأن البحث خارج الكافيتريا لم يجد أية سيارة لا نعرف صاحبها هذه الفتاة جاءت من مكان ما راجلة .

- « عتبة أقراص استهكت منها الربع . »

ألقيت نظرة على المكتوب على العلبة . إسبيرين فوار ..

قال المأمور في رضا وقد ضرب المنضدة بقبضته :

- « هذا يوصح الأمور الفتاة مرت هنا في سيارة شاب تعرفه تشاجرت معه هكذا بخلت هنا وراحت تتصرف بطريقة حمقاء ثم ابتلعت جرعة عالية من الإسبيرين وماتت . »

لم يرق لي الأمر .. فتدخلت :

- « الإسبيرين لا يقتل فجأة .. ثم إننا لم نرها تبتلع أي شيء دعك من أن جرعة الإسبيرين القاتلة عالية جداً تقترب من فرص لكل كينوجرام أي إنه كان عليها أن تبتلع نحو خمسين قرصاً . بهذا كنت ستجد العلبة فارغة . »

ثم تذكرت أنهم يفكرون بالرطل هنا فقلت :

- « هذا لو كان وزنها حوالي ١١٠ أرطال . يبدو أن هذا معقول .. »

نظر لي في كراهية . إنه يكره من يعترض على كلامه .. دعك من أن هذا يتعب عقله لأن عليه البحث عن جواب آخر .

قال في ضيق :

- « هذه الوفاة المفاجئة لم تحدث بسبب الشيوخة . »

- « هناك سموم قليلة جداً تسبب الموت بهذه السرعة لو أخذت بالفم . لا أعتقد أن الفتاة كان تحشو ضمناً بالمياتيد لتكسره عند القبض عليها كما يحدث في قصص الجاسوسية . في هذه الحالة يمكنها أن تموت فجأة لكنك كنت ستشتم رائحة اللوز المر .. »

- « إذن كيف ماتت ؟ »

ببرود قلت .

- « لا أحد يعرف . فقط يستطيع التشريح أن يخبرك . »

سأد الصمت كأنه فيلم سينمائي اجتمع فيه عباقرة الموتج ليعطوا تأثير التوتر دقائق أنامل المأمور على المصددة خطوات مساعده وجه الجثة . العرق على وجه المأمور عينا ( باتريشيا ) .. قبضة ( هاري ) . صوت ( بانج باتج ) القادم من لا مكان دقائق الساعة .. ( Isenstein ) المخرج السوفييتي العظيم خبير المونتاج ما كان ليحلم بتقطيع أقوى من هذا ..

فجأة قطع السياق أن صاح المأمور في عصبية :

- « ما صوت الدق هذا ؟ »

لو ك في مصر لا فترحت أنهم يصنعون ( الكفتة ) ، لكني اكتفيت بأن قلت :

- « سيدى هذا الصوت مستمر منذ جئت أنا هنا .. يصعب أن أصدق أنك لم تسمعه إلا الآن .. »

قال ( شوارتز ) :

- « بل منذ جئت أنا .. »

لكني كنت أعرف أن أشياء كهذه تحدث .. عندما يستمر الصوت طيلة الوقت وبلا انقطاع فإن وعيك يتجاهله .. نحن لا نشعر بدقات الساعة المعلقة على الجدار إلا عندما نتوقف عندها نشعر بحيرة وارتباك ونتساءل عن كنه الصوت الذي صمت .. هل كان هناك صوت ؟ ماذا كان ؟ ولماذا صمت ؟ نظر المأمور لمساعدته متسائلا فقال هذا بلهجة من أدنى عمله جيدا :

- « لم نعرف مصدرها .. تأتي من مكان ما في الجبل . »

هز المأمور رأسه كأنما يفسر هذا كل شيء ثم نهض متعبا وقال للمساعد :

- « تأكدوا من نقل هذه إلى بيت الجنازات .. سوف يفحصها رجال ( فينكس ) بأنفسهم . »

ثم دس يديه في جيبه وبصق على الأرض وغغم :

- « ماذا يحدث في هذه البلدة ؟ بحق السماء ماذا يحدث هنا ؟ »

★ ★ ★

## -6-

لم تكن الاخلايد التي يطلقون عليها مخائب الشيطان كما عرفها ..

كان ( بيلي ) يحتازها بسهولة كما اعتاد لكنه تعثر عندما توغل فيها أكثر وأدرك أنها مسدودة

راح يتحسسها بأتمنه بالفعل . هناك جدران تسد أكثر هذه الاخلايد . جدران بارتفاع قمة الرجل العلى .. بناء شديد التعقيد يمتد لعدة أمتار ..

راح يحاول أن يقتحم هذه الجدران فيها هشة .. تقرب في ملمسها الى الورق المقوى ورق رمادى تم بناؤه بشكل معقد هناك غرفة تقود إلى أخرى . وأخرى تقود إلى أخرى

ما هذا الشيء بالصبط ؟ من الذى يضع وقته فى بناء بيوت من ورق مقوى فى هذا المكان ؟

أصابه الدعر . انها الكلوستروفوبيا التى تشعر بها وأنت تزيج جدراناً لتجد خلفه آخر راح يمزق ما استطاع

تمزيقه .. لابد أنه احتاج إلى عشر دقائق حتى يخرج من هذه الممرات المتشابكة المعقدة .. وبالطبع تم هذا بطريقة التمزيق فلو اعتمد على الزحف فى هذه المتاهة لظل هناك إلى يوم يعثون ..

فى النهاية وجد نفسه خارج أحد هذه الجدران الورقية . وكان يركع على ركبتيه فى قاع الأخدود

فى اللحظة الثانية صرخ هلعاً إذا تمسك به أحدهم من الخلف . سقط على الأرض ف شعر بالجسد يسقط فوقه

النقط حجراً وتأهب كي يضرب هذا المعتدى ، لكنه رأى اللبنة السوداء والياقة البيضاء وسمع صوتاً مميزاً يقول :

« أنت ( بيلي ) .. ماذا تفعل هنا ؟ »

إنه النفس ..

لكنه كان فى حال هستيرية جعلته لا يثق بأى إنسان على الإطلاق لقد وثب وثبتين حتى خرج من الأخدود . وأشار دهشته أنه الان يرى مدى امتداد وتعقيد تلك الشبكة من الحجرات الورقية .. لها تنسيق مسدس لا بأس به لكنه



ليس ذلك الشكل المميز لأعشش النحل . إنه بالتأكيد أقل إتقاناً ..

### قال القس وهو فى قاع الأخدود :

« لا تخف ب ( بيلي ) لا تخف . أنا سقطت هنا مثلك .. »

### صاح الفتى فى عصبية :

« وماذا جاء بك هنا ؟ »

« ربما كان على أن أسالك السؤال ذاته »

ساد الصمت هتية ثم أردف القس وهو يتنسم ابتسامة ذات معنى :

« أب أعرفك وأنت بك سأجرب أن أثق بك ثانية .. دعنى أخمن .. أنت هنا للغرض ذاته .. »

صمت ( بيلي ) وقد أدرك أنهما متفهمان ..

### قال القس :

« جئت لتلقى نظرة .. هه ؟ »

### قال ( بيلي ) وهو يستجمع أنفاسه :

« نعم .. نحن نعرف سرهم منذ زمن . اعتقد أن ( جيمى ) و ( هاريسون ) هنا لأنهما عرفا أكثر من اللازم .. ( ساندرا ) صممت على أن تذهب وحدها . أحاول اللحاق بها قبل أن .. »

قال القس وهو يمد له يده كي ينزل إلى الأخدود ثانية :

« أعرف هذا الطريق المختصر منذ طفولتى .. إننى أرتاب بهذه الطقوس . لا أستطيع أن أعطى تفاصيل . لكن للطريقة الوحيدة للاطمئنان هى أن أرى بنفسى . لا أستطيع إبلاغ المأمور بشيء لأن ما عرفته عرفته تحت الاعتراف »

« إن المأمور أغبى من أن يصدق على كل حال »

فجأة صمت القس ولمعت عويناته فى ضوء القمر فهدأ منظرها مخيفاً ..

فتح ( بيلي ) فاه ليتكلم لكن القس وضع أصبعه على شفته .

تشومب .. تشومب !

لصوت أت من هناك .. من الناحية الأخرى لهذا الأخدود .

وفي صمت وحفة زحف القس زحفًا ومن خلفه ( بيلى ) ..  
كانا يقتربان من مصدر الصوت ..

على السحبة الأخرى كن هناك جذع شجرة عتيق متعفن .  
يرقد في ضوء القمر كانه أفعى أسطورية عملاقة وقوى  
الحدع كن يرقد رجل شعرا بأنهما يعرفانه جيدًا ..  
( نوم لين ) إنه من عمال المعجم رجل قصير القامة  
أصلع متين البنيان ..

يرقد فوق الجذع وقد احتضنه بكلتا يديه . أما الغريب  
فهو أنه يقضم الحشب بلا توقف وبنشاط غير مسبوق ..  
تشومب تشومب !!

كان يأكل بلا كلل . بدا منظره في ضوء القمر كأنما هو  
ت من كبوس لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً . دقائق  
مرت على هذا المشهد ثم انه نهض مترنخا .

وراح ييصق ما مضغه على الأرض . يمكنك أن ترى  
أنها عجينة بيضاء متجانسة عجينة سخية لا تصدق أبداً  
أنها كانت في فمه ..

لما عن القس والفتى فبئس أترك لخيالك تصور ما شعرا به  
وقتها . صرخة أو شكت أن تصدر من الفتى فكتم القس فمه  
بيده ..

ليس هذا وقت الصراخ . بالله عليك ليس هذا وقت  
للصراخ ..

ينهض ( نوم لين ) من حيث كان . يقف في ضوء  
القمر .. يبدو أنه يتعجب ..

وفجأة بهجم !

لقد رأنا !!

كيف رأهما ؟ لا أعرف .. المهم أنه وثب إلى حيث كانا  
في الأحدود . وبسرعة البرق رأياه ينقض عليهما .. قال  
القس شيئاً وفي اللحظة التالية مر الرجل بجواره ..  
وسرعان ما توارى وسط الأخاديد المظلمة ..

هتف ( بيلى ) وهو يثب خارج الأحود :

« قنفر يا سيدى . لقد هرب .. يبدو أنه كان مذعوراً  
أكثر منا !! »

قال القس شيناً .. وأشار لعنقه ..

نظر ( بيلي ) الى الرجل وبرغم ضوء القمر الذى يجعل كل شيء مزرقة فاتحه أدرك أن القس لزرقة اللون .. كان يشير لعنقه وقد بدا عليه دعر لا يصدق لسانه برز من فمه وعيناه اتسعتا حثف رجاء النظارة ثم هوى على الأرض ..

كان هناك ثقب صغير فى عنقه ..

وأدرك ( بيلي ) أن الأمر انتهى ..

انتهى بسرعة البرق ..

★ ★ ★

( ليانور رحى ) ماتت فى الكنيسة ودُفنت ومعها دفن

سمي

الاب ( ماكزى ) يفيض الغبار عن يديه وهو يفارق قبرها ..

فلم يتم خلاص أحد ..

★ ★ ★

قال ( ريتشاردسون ) لزوجته :

- « أريد تفسيراً .. »

كانت الآن تقف أمام باب الدار فى ضوء المصباح .. مبعثرة الشعر وثمة هالات سود تحت عينيها . كان آخر وجه تتمنى أن تقبله هو وجه زوجها بالذات .. واضح أنه لم يتلع المخدر ولم يتلع الحيلة ..

دخلت من دون أن تنطق فمضى وراءها واستوقفها فى عصبية :

- « أين كنت ؟ »

- « هذا شأنى للخاص .. »

- « ليست هذه هى الإجابة الصحيحة . »

لكنها اتجهت إلى غرفة النوم لتبدل ثيابها وأغلقت الباب فى وجهه .. دى بعنف أكثر وهتف :

- « أنت لا تتكلمين .. »

- « لاى لا أسمع الكلام الصاخب .. »

- « نحن لا نتحدث عن محاولة دكتاتورية للسيطرة على حياتك نحن نتحدث عن تحديري كل ليلة يمكن أن نثبت هذا بتحليل الدم هذه تهمة فيدرالية وليست مجرد خلاف في وجهات النظر بين زوجين . »

مع صوت حفيف الثياب جاء صوتها من وراء الباب يقول في عصبية :

- « إن الطلاق خير تسوية .. »

ماذا يحدث ؟ منذ متى ترد بهذه الحدة ، ومنذ متى تطلب الطلاق ؟ هناك آخر بلا شك دعك من أنها لم تغلق الباب في وجهه قط ..

في جنون مد يده ليدير المقبض .. ثم دفع الباب بكتفه ليدخل وفي نيته أن يبدأ النقاش بأن يوسعها ضرباً . بعد هذا يمكن الكلام بنوع من العقلانية

انفتح الباب ..

فصرخت وتراجعت للوراء ..

لكن صرخته كانت أعلى لأن ما رآه كان مخيفاً

★ ★ ★

العجوز ( سكروج ) يجلس في الخلاء كعادته الليلية ..

كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى ديد ..

ثرثرة جداً هذه الحشرات .. لا تكف عن النغمة بخصوص في هذه المدن ..

كنت أنا واقفاً أرمق كل شيء من عل .. تلك النافذة التي في نهاية المعمر والتي صارت مكاني المختار بعد قليل أنام لكن من يضمن لي ألا تزورني بقية القبلات ثانية ؟ الفكرة ذاتها تفصلي رعباً ..

أسمع الحوافر خافتاً من بعد ..

الفتة التي يدعونها ( باتى ) وأصر على أن ادعوها ( باتريشيا ) تغمس في تودة .. لقد أغلقت المتجر ويبدو أنها ستعود لدارها . تتجه نحوه وتناولته المفتاح .

عندما تحتاج المحطة إلى عمل ليلي فإن المكسيكي ينزل ليصاعده ..



أسمع عبارات من بعيد تحملها الريح إلى أذنى :

« لم ألتقاض أجرى هذا الأسبوع .. »

« لا يوجد مال . إن الأحوال سيئة .. دعك من هذه الفتاة

التي ماتت سوف تتحدر الأعمال إلى الحضيض »

قالت فى تحد :

« لكن هناك الغرباء المقيمين فى الفندق . دعك من

أن عدد السيارات كان هائلاً هذا الأسبوع .. لقد باع المتجر

بعض الدمى كذلك .. »

البدين لم يبدل من جلسته .. فقط قال دون أن ينظر لها :

« لميتك تعرفين أى ثقب تسدها هذه البسات فى الحفرة

للهنة التى أجلس عليها ثم إن الغرباء هنا لمصلحتك فت ! »

فى عصبية وتتمر هتلت :

« ماذا تعنى ؟ »

قال بلهجة واضحة :

« هذا الأشقر الوسيم القادم من ( فلوريدا ) وعالم

الحشرات . هل تحسبين أننى غافل عنك ؟ أنت تنعمين

بوقتك ثم تطلبين بالأجر ! »

لا أعرف تعبيرات وجهها لكن لا بد أنها مخيفة . فقط

سمعتها تقول :

« لو سمعتك تتكلم بهذه اللهجة ثائية فلسوف تختصر

الماعات الباقية من صورك ! »

لا بد أنه شعر ببعض الفزع لأن لهجته صارت أهذا :

« ليس معنى مال .. يجب أن تفهمى هذا . »

« وماذا ستفعل بكل ما تكدزه ؟ إنه لن يذهب معك إلى

القبر .. »

« ربما أفكر فى شيء كهذا كما كان الفراعنة يفعلون .

والآن أرجو أن ترحلى لأن وجودك يفسد تأملى .. »

نظرت له طويلاً . اعتقد أنها فعلت هذا . ثم عادت إلى

الموتيل بخطوات ثابتة ..

هذه فتاة خطيرة لكن لا اعتقد أنها من الطراز الذى

يقتل . إن القتل عند الانفعال يحتاج إلى شخص حار

الدماء بالنسبة لـ ( هارى ) أوشك أن أرى صورته فى صفحة الحوادث فى أية جريدة وهو يضع لافتة الرقم على صدره ، لكن هذه لا سوف تنصب مكيدة باردة قاسية .

لماذا لا تعطيه حقها يا أحمى ؟؟ ماذا ستفعل بكل هذا المال ؟ عندما تشيخ فلا ترى الجمال ولا تسمعه ولا تلمسه ولا تمشى فيه فما جدوى المال ؟

أعفت الدافذة وعدت إلى غرفتى تأكدت من أن النوافذ معقاة لا أعرف حجم بقعة القبلات هذه لكنى أرجح أنها ضخمة

جلست أكتب خطابًا من تلك الخطابات حكيت فيه ما حدث ثم اتجهت إلى حوض الحمام وأحرقته حرقًا ووقفت أرمى الدخان خبيث الرائحة متى تظهرين لأرحل من هنا ؟

مددت يدي تحت الوسادة فوجدت خطابًا من تلك الخطابات التى ألقاها بانتظام :

« لخل المنجم ! »

كلمة واحدة لا أعرف لم تشير . لماذا أدخل المنجم ؟

كنت أفكر فى هذا عندما غصت تحت الغطاء وغبت فى نعاس عميق ..

★ ★ ★

فقط لأسمع الصراخ فى الثالثة صباحًا .

كان قادمًا من الطابق السفلى ..

خرحت فلم أجد أحدًا فى الممر .. نزلت إلى الطابق الأسفل حيث الكافتيريا / المطعم / الحانة . فوجدت هناك زحاما يوحى بكرثة ..

( شوارتر ) هناك والمأمور و ( هارى ) و ( باتريشيا ) والموظف المكسيكى الصموت . كانوا هناك يتكلمون جميعًا بصوت عال .. وفى الوسط رأيت ذلك الفتى النحيل ذا العيون والنمش ..

للمرة الأولى كن هذا لقائى مع ( بيلى ) ..

« أنا متأكد ! لقد تركته هناك ! »

وسمعت كلمة القس عدة مرات ..

كن نورى فى الموضوع هو أن أخبرتهم أن الفتى يوشك على الإصالة بتهيل عصبى ، فيصبروا عليه بعض الوقت ..

أعقت هذا الحماس مع المصابين بهزة عصبية كأنهم يعتقدون مؤتمرًا صحفيًا . حتى توقعت أن يقول الفتى : لا تعليق .. لا مزيد من الأسئلة من فضلكم ..

فليجلس أولاً ثم يتكلم . صعدت لعرفتى وبحثت عن بعض الأقراص المهدلة ثم عدت له وظنبت منه أن يبتلعها .

كان يحكى قصة عجيبة عن القس الذى هاجمه شخص ما فقتله . يبدو أن هذا حدث فى منطقة يطلقون عليها ( مخالب الشيطان ) .. من هنا سمعت القصة كلها من وجهة نظر ( بولى ) ..

إن هذه القصة جزء آخر من مسلسل الرعب الذى يجتاح هذه البلدة والذى لا يوجد منطق واحد يفسره ..

لكننا فهمنا عدة أشياء :

أولاً . القس كان يعرف أكثر منا جميعًا .. لقد سبق الفتى بخطوة ..

ثانيًا : الشيء الشرير الذى يحدث يبدأ من تجمع هؤلاء الأشخاص غريبى الأنوار قرب المنجم ..

قال المأمور وهو يتحسس مصدسه :

« الأمر واضح .. سوف أذهب إلى هناك وأنسف هؤلاء الأوغاد .. لقد أعبأتى البحث عن مكان تجمعهم .. لكن يبدو أنني آخر من يعلم إن لى سبعة عشر عامًا كالمور لكنى آخر من يعلم .. »

قال ( شوارتز ) وهو يدس يديه فى جيبه :

« تريد رأى ؟ إن هؤلاء الرجال من ( فينكس ) قادمون غداً .. أنت تحتاج لتعزيزات لأن المشكلة أكبر مما تتصوره .. عليك الليلة أن تحاول استرداد جثة القس .. لا تحاول التورط فيما هو أكثر .. »

لسان للعقل يتكلم .. فليصمت البلهاء .. ويجب أن اعترف أننا كنا جميعًا بلهاء باستثناء ( شوارتز ) ..

بدأ على الأمور أنه اقتنع .. هذه ضربة لا شك فيها لكبريائه أن يقتنع برأى أحد لكن يبدو أنه لا مناص من ذلك ..

نهض وأشار لمساعدته كي يلحق به .. ثم نظر إلى الفتى .. فرفعت يدي منزعجاً . لا .. لن أسمع له بصفتى لطبيب الوحيد هنا .. لن يأخذه معه للبحث عن جثة القس ..

هكذا قرر أن يصدع بالأمر واتجه إلى الباب

وبعد قليل سمعنا السيارة تبتعد ..

قلت للفنّانة ( باتريشيا ) :

- « من الواضح أن صاحب الموتيل لا يتدخل كثيرًا »

صحكت تلك الضحكة المشرقة المفتحة التي تزول خلال ثانية ، وقالت :

- « اه . نعم ها ها . إنه مسن جدًا ويترك لي كل شيء ما عدا المال .. »

وتذكرت الموقف الذي كان منذ ساعتين تقريبًا .  
وتذكرت العجوز جالسًا وحده يصفى لما فعلته ( كاتى ) ..

لا أعرف لماذا قررت أن أخرج إلى الخلاء .. مشيت  
ببطء ومعنى مشى ( هارى ) ومن بعيد نرى ضوء سيارة  
المأمور إذ تبتعد في الطريق ..

لا صوت إلا صوت النطاط الذي يهتبر نفسه ترمومترًا  
يخبرك بدرجة الحرارة مع الـ ( بونج بانج ) والراحة  
الكريهة التي تعاودك كلما خرجت ..

هنا جوار مضخة البترول كان يجلس العجوز .. لكنى  
لرى الآن أن مقعده مقلوب ..

دنوت أكثر .. وعلى ضوء القمر استطعت أن أرى تلك  
العلامات ..

أثار جر واضحة على التراب . جر .. ومقاومة .. ثمة  
جسم ثقيل لا شك في هذا . والآثار تتجه بعيدًا لتعبر  
للتريق وهكذا اختفت تمامًا ..

على الأرض علبه كولا سقطت من يد حاملها وهي مليئة  
لأن محتواها انسكب على الأرض ..

نظرت لـ ( هارى ) فنظر لى نظرة غامضة .

ما معنى هذا ؟

★ ★ ★



## -7-

هذا هو الجزء الممتع في الموضوع ..

كان هذه الأشياء تروى للمأمور بلا شك . البحث على ضوء الكشف في منطقة الأخاديد . يبدو له هذا عمل شرطية فعلاً . كان مساعده الأبله قد ذهب لمكان آخر .. والمأمور يضع يده على مقبض مسدسه ويمسح الحفر للمتجافرة بالكشاف ..

سبعة عشر عامًا من الخبرة .. لا شك في هذا . هذه الأعوام لها مقابل .. إنه يعرف ما يفعله . لا يحتاج لهؤلاء الأوغاد من ( فينكس ) . أولئك العرفهين الذين أذعنوا الجلوس على مؤخراتهم السمينه في الغرف المكيفه .. يموتون بالكوليستيرول والسمنه .. لكن إلى أن يموتوا يتسلون على واحد مثله .. شرطى ريفى فى بلدة على حدود المكسيك .. لا بد له حمل أو أحرق ..

كان يلهث الآن من الجهد .. والعرق يبلل حاجبيه ..

لسعة الزنبور ؟ ذلك العالم قال إنهم يعرفون لسعة الزنبور . بعض الآباء يفعلون هذا . هو يعرف أفضل من أى واحد آخر لأنه فعلها مع ابنه مراراً .. ذات مرة دس لزوجته سحلية حية فى قميصها وراح يضحك بينما هى

تتلقى وتصرخ .. إنه يعرف أفضل الطرق لفرض إرادته .. بعض الرجال يلوم أسرته .. البعض يضرب . لكنه يعرف أفضل الطرق للسيطرة ..

تقول امرأته إنه سدى مريض .. ربما .. كان يسمع أن رجال الشرطه الفظين فى عملهم يكونون وديعين كالحملان فى بيوتهم .. لكنه يستثناء .. لقد اعتاد أن يحمل الغف معه للبيت . فإذا لم يجد ما يكفيه فى العمل بحث عنه بين أفراد أسرته ..

لماذا لا يحق له بعض العنف ؟ القليل منه ليحتفظ به سلامه النفس ؟ مهنة كهذه وراقب جدير بالفئران .. والعمر يمضى بلا أمل فى الألق . فلماذا يلومونه على بعض العنف للصحة ؟

أخيراً يرى هذه الأشياء ..

إن الفتى الأحقر لم يكن أحقر ..

بالفعل هذه بيوت من الورق المقوى .. تبدو كمسكنات تم إلصاقها ببعضها .. من فعل هذا ولأى غرض ؟

يوصل البحث . لا بد أن جثة اللقنن قريبة جداً . سوف يجدها ..

اتحنى أكثر ليتفحص أحد الأحاديث عن كتب ..

ولا يدري ما حدث .. ولا كيف شعر بتلك الوخزة القوية  
تخترق فخذ ..

أطلق سبة ورعى على ركبته . هناك من يقف بجواره  
الآن ..

مد يده ليمسك بالمسدس . سبعة عشر عامًا من  
الخبرة . لكنه وجد يده تهتز . ذلك التتميل الغريب يصرى  
فيها اللعنة . إنه عاجز بالفعل عن تحريك أى طرف .  
إنه ..

وبدا النعاب يسيل من فمه الذى عجز عن غلقه .

لكنى واع أنا واع .. لم أفقد وعيى . أنا واع .

★ ★ ★

وقفنا مذهولين ننظر إلى تلك المصاحبة الشاسعة الممتدة  
أمامنا .

لقد قادتنا محاولتنا لاكتفاء الأثر إلى عبور الطريق ..  
وهناك وسط الجبال وجدنا آثار الجرم من جديد .. كان  
اقتفاؤها عسيرًا فى الظلام لكننا استخدمنا الكشافات ..

طبعًا تركنا ( باتريشيا ) والفتى ( بيلى ) فى الموتيل  
أنا لا أثق بها واعتقد أنها مسئولة عن اختفاء العجوز  
آخر مرة شوهد فيها كانت تتشاجر معه .

« إنها باردة جدًا تعطيك الانطباع بأنها قد تجز رقبتك  
بالمقص لو دفع لها أحدهم ربع دولار . »

كنا الآن نولى وجهنا شطر الحدود المكسيكية . سلسلة  
الجبال الوعرة سوف تبدأ بعد عدة أميال لكننا الآن نرى  
منخفضًا غير عميق نسلط الكشافات عليه فنرى ..

نرى تلك المصدسات الشمعية العملاقة المترصة

خلالها نحل .. لا شك فى هذا ..

ونظرت للوراء إلى ( شوارتز ) فنظر لى بذات النظرة .

( باتج باتج ) ..

صوت الدق يتعالى ..

الرائحة الكريهة تتزايد ..

كاتى ديد . كاتى ديد . كاتى ديد .. كاتى ديد .. كاتى  
ديد .. كاتى ديد ..

( كاتى ) فعلت ماذا ؟ يبدو أن حرارة الجو تؤدي عمل  
الرقابة من جديد ..

شمع .. شمع .. شمع ..

وفجأة بدأت أفهم ..

( شوارتز ) هو الآخر فهم ..

★ ★ ★

لا يذكر المأمور إلا أنه كان غارقاً في الماء ثمة بركة  
ماء سقط فيها ..

عاجراً عن الحركة لكنه مدعور .. لا يستطيع الكلام أو  
الصراخ ..

هناك شيء قوى ينتزعه من الماء .. يجره بعيداً بلارفى  
إلى الخارج ، ثم يشعر بأنه ينحدر من فوق مرتفع .. يسقط  
كأنما هو صخرة أثقلت من أعلى إنه الآن راقد في قاع  
أحدود عميق . يرى السماء بنجومها من فوقه .. منذ متى  
كان القمر بهذا السطوع ؟

ثمة شيء يسقط فوق صدره .

شيء يشبه البيضة لكنها لينة ..

ما هذا ؟

هنا بدأ يرى تلك الشيء العجلى - في وضع السلويت لأنه  
كان عكس ضوء القمر - يتقدم نحوه نازلاً الأخدود . الآن  
يفهم ..

لكن الفهم جاء متأخراً جداً ..

★ ★ ★

قال لى ( شوارتز ) وهو يرتجف ، محاولاً التصويب على  
لغافة التبغ في فمه :

- « القصة واضحة يا د . ( إسماعيل ) . »

- « بدأت أرى هذا معك .. »

قال ( هارى ) في غيظ :

- « أنتما عبقرين . فهل يوجد مكان لبطينى الفهم مثلى ؟ »

قال ( شوارتز ) وهو ينظر إلى البلدة الغافية في الظلام :

- « سكان هذه البلدة يتحولون إلى حشرات ! »

★ ★ ★

## الجزء الثالث

### الكيثونة

١ - لا تنق في أية أصوات غريبة تسمعها لئلا .. لا تفترض أنها طبيعية ..

٢ - مقولة ( يحدث للآخرين فقط ) انتهى عهدا . ربما كان من الأفضل أن تنهى مقولة ( يحدث لى دون سواي ) ..

٣ - لا تنق في الصداقات القديمة أكثر من اللازم

٤ - لا تقع في حب جديد ..

٥ - قرحة الكريهة موجودة هناك لسبب مهم . لا تنس هذا ..

٦ - لا تنق في زوجة يموت زوجها ليلة الزفاف ..

٧ - عدوانك القديمة قد تطفو على السطح .. تذكر أين كنت ومن أنت

## -1-

يقول ( شولتر ) :

- « لا تنظر للحشرات بتعال أبدا . يرى العلماء أنها وجدت على لارض منذ ٢٥٠ مليون سنة هناك ٧٠٠ نوع منها حتى اليوم . ويعتقد العلماء أن أنواعها ستبلغ عشرة ملايين فقط لو تقدمت طرقنا في البحث أكثر . لقد وجدوا الصراصير داخل المفاعلات النووية وفي القطب الشمالي وداخل الصمامات الإلكترونية هذه الكائنات قوية جدا وقد جاءت لتبقى »

★ ★ ★

يقول ( شولتر ) :

- « لا تنظر للحشرات بتعال أبدا . إنها كانت معدة بدقة إلهية مذهلة لحياة شديدة القسوة .. ويبدو أنها ستعيش بعد أن يفنينا وباء أو حرب نووية . لقد جاءت الديناصورات الأرض بضخامتها المروعة ثم اندثرت وجاءت الثدييات . لكن الحشرات ظلت كما هي بارعة جدا خارقة القوة متكيفة بشكل مذهل لبيئتها »

★ ★ ★



قال ( هارى ) فى عصبية وهو يبدو موشكاً على تحطيم  
رءوسنا لسبب لا أعرفه :

« أنتم محزونان تماماً . عندما يحدث قتل عليك أن  
تبحث عن قاتل لا أن تعطى آلاف التفسيرات الطفولية .  
رجلان ناضجان مثلكما ! »

بدا كأحد أبطال أفلام الخمسينيات أكثر من أى وقت آخر ..  
شعر الأشقر والدقن المشقوقة والصدر العريض والانفعال  
الرائد لكن الوضع فريد هنا . بطل الفيلم لا يفهم  
شيئاً .

نظرت إلى الوراق لأؤكد من أن الفتى و ( باتريشيا ) لم  
يقتفيا أثرنا أن لا أثق فى الفتاة .. بل لا أثق فى أحد على  
الإطلاق لكننى على الأقل أرجح أن هذين اللذين يقفان  
معى مضمونان لفترة أخرى ..

لم أر ورائى إلا الليل الطريق السريع الخالى ..  
أضواء محطة البنزين الغافية تلك الحشرات المضيئة ..

قال ( شوارتز ) وهو يلهث لتفعالا :

« لو فكرت فى الأمر بلا تعصب لفهمت .. لا أعنى  
أنهم صاروا حشرات كاملة لكنهم بالتأكيد قطعوا شوطاً  
لا بأس به بيوت من شمع وبيوت من ورق . ماذا عن  
تلك الرائحة الكريهة المسيطرة على البلدة ؟ الآن أتذكر  
مصدرها هناك بقى يصدر رائحة مماثلة لحماية نفسه  
ماذا عن نظاظ الحقل الذى لا يهدم طيلة الليل ؟ وماذا  
عن كس الأضواء التى تراها فى الأفق ؟ حاملات المشاعل  
أو النهاب المضىء .. »

قلت لنا بدورى :

« ودقات الطبول المعدنية اعتقد أن نوعاً من  
الخنافس يحدث هذا الصوت .. »

تدخل ( شوارتز ) مصححاً :

« بقى . بقى ( السيكاذا ) . يطلقون عليه اسم ( قارع  
الطبول ) لأنه يحرك ذلك الغشاء المستدير تحت أحنجته  
فيحدث ذلك الصوت المعدنى .. هناك ولايات فى الجنوب  
تضطر لإغلاق المدارس فى مواسم معينة بسبب ارتفاع  
صوت هذه الدقات .. »

تدخل ( هارى ) قائلا :

- « هل ترى ؟ نحن فى الجنوب فعلاً . هل هناك ما هو جنوبى أكثر من ( أريزونا ) ؟ ما نتحدث عنه هو ظاهرة ولاية تعج بالحشرات لا يجب أن يدهشنا هذا هناك مواضع فى إفريقيا جعلها النمل محرمة على البشر لكن هذا لا يعنى أن الناس يتحولون لنمل ! »

قلت وأنا اتحسس شفتى :

- « بلى القبلات الذى يتسلل ليلاً .. »

عاد ( هارى ) يقول فى إصرار :

- « هذا لا يدل على شيء .. الحشرات تلدغ فى كل حين .. »

قال ( شوارتز ) وهو يشعل لفافة تبغ :

- « وماذا عن الجثث التى يتعرض أصحابها للتدويد وهم أحياء . وماذا عن أسباب الوفاة ؟ وماذا عن الجثة التى تم امتصاص الدم من عنقها ؟ »  
- « حقاً ؟ ماذا عنها ؟ »

ضحك ونظر لى ثم أرفف :

- « البعوض يفعل ذلك . تخيل بعوضة بحجمك . هناك البق والبراغيث أيضاً .. »

- « ليس لديك دليل على أى شيء من هذا الهراء »

- « سأعطيك الدليل الجثة التى تم التهام الرأس والعنق فيها . نحن لم نر أسلوب قتل بهذه الصناعة من قبل إنها جثة ذكر هذا الفتى ( هارلمون ) كان فى لقاء عاطفى مع فتاة لطيفة هذا هو ما أرجحه .. والان وسط اللقاء تدير الفتاة الرقيقة رأسها لتنتهم رأس الفتى Praying Mantis تلك الحشرة المفترسة التى حسب الناس أنها تقف على قمتيها الخنفيتين وتضع كفيها لأنها تصلى أنشئ هذا النوع تلتهم الذكر بعد التزاوج أولاً تتزعزعة غدة معينة مسئولة عن الشعور بالألم هكذا يمضى اليأس إلى مصيره بلا ندم . ثم تواصل النهامه بدءاً بالرأس على سبيل التغذية هذه الحشرة تنتهم كل ما يتحرك أمامها فى بعض بلدان الشرق الأقصى يربطونها بحبل للفراش كما يفعلون مع الكلاب ، لتحمل للنائم من هجوم أية حشرة أثناء النوم ' إن هذا الجزء قد يفسر لنا مقتل الطيور والقطط »

وتأمل وجه ( هارى ) المذعور وأردف فى استمتاع :

- « إنها الحشرة الوحيدة القدرة على أن تبصر ما وراء كتفها وأن تمسح وجهها بيديها كالقط .. وتأكّل من يدك كالكلب .. وتشرب الماء كالخيول ! »

ارتحلت للفكرة .. ثمة شيء رهيب فى هذا .

قلت أنا مفكراً :

- « وتلك الفتاة الرقيقة التى جاءت تبحث عن عريس . قالت إنها مولودة اليوم فقط . ثم تدخل الكافتيريا لتجلس جوار أكبر صوء فيها . اسمها ( ماى ) .. الآن أفكر فى شيء ما .. » :

قال ( مولرتز ) :

- « اسمها ( مايو ) . ذبابة ( مايو ) .. الذبابة التى لا تعيش أكثر من يوم واحد من شهر مايو تبحث عن الأضواء ثم تتراوح . وعندما يأتى العماء تموت فى صمت يوم واحد فقط هو كل حياتها .. لم يستطع أحد أن يفهم هذا . وقد هلكت الفتاة أمام عيوننا بعدما انتهت حياتها هباء . التشريح لم يجد أى شيء يموت للسموم فى

دمها . لم يجدوا سبب للوفاة فقط ماتت لأن أجفها انتهى . من أين جاءت ؟ لن نعرف أبداً .. »

هنا صاح ( هارى ) بانتصار :

- « نحن فى الخريف يا عزيزى . هذا يهدم فرضيتك بالكامل »

- « لا تنس أننا فى الصيف الهندى وهو جو حار مخادع يأتى أحياناً فى نهاية الخريف .. لقد رأينا بيض دود انقر يفسد فى هذا الجو برغم أنه لا يفسد إلا ربيعاً أنا أعرف من خبرتى أن بعض ذباب مايو يظهر فى هذا الوقت »  
ثم تذكر شيئاً فأضف :

- « ثمة شيء لاحظته مع تلك الفتاة . يبدو أنها سمة عامة فى نساء البلدة هذه الأيام . أتهن جذابات جداً إن لهن رائحة عطرية قوية .. الرجال يتصرفون معهن ببلاهة كأنهم تلاميذ مراهقون .. ألا يذكّرنا هذا بالفيرمونات pheromone ؟ إشارات الحشرات تفرز هذه الرائحة التى تجذب الذكور . ولكم من مصيدة أعدها العلماء لذكور حشرة معينة عن طريق إطلاق هذه الرائحة فى إفريقيا تعد هذه من وسائل مكافحة ذبابة ( تسي تسي ) المعروفة »

هنا فقط فهمت ذلك الانجذاب المفاحى الذى شعرت به نحو الفتاة ( ماري ) عندما دخلت للتخيير يا . لم أكن أبله .. كنت تحت تأثير كيميائى شديد الكفاءة . ثمة حقيقتان هنا : الحقيقة الأولى هي أنك يجب أن تقترب من عالم الحشرات أكثر لفهم دقة وإعجاز الخلق ، وبلاهة من يحسبون هذا تم بالصدفة . الحقيقة الثانية هي إننا فى مازى بالغ التعقيد . هذا العالم العريب ينهال فوق رؤوسنا ..

والقى بقايا لعذبة نتبع ونظر الى الصحراء الحالية حيث يتأثر الظلام بالتسوى مع صبار ( الساحوارو ) المخيف تشعر بأن جيشا كاملا من المكسيكيين يقترب منك فى الأفق ..

ثم نظر لـ ( هارى ) وقال باسمًا فى خبث .

« انت كنت اقرب ما يكون لتجربة من طراز آخر لكن لها طابعا حشريًا واضح . هل تتذكر ؟ »

قال ( هارى ) :

« أنا ؟ بالطبع لا .. »

« فى الحيز الذى قصيت فيه ليلتك .. رأيت ذلك النفس السحيل الذى يشبه تمام الفراش الذى ينام عليه وأخاه

الذى بدا لك ميتًا إلى حد لا يصدق .. هذه أساليب ( العصى الرحالة ) التى تهوى النظار بالموت أو تتظاهر بأنها عصا لا يمكن أن تميزها عما حولها . مجرد طريقة تماء بينية معروفة

كان يشعر بأثارة بالغة . صحيح أن هذا يعنى كارثة لا قبل لنا بها ، لكنه كان مصمم على الاستمتاع باللمحة الحالية حتى إن كانت الأخيرة .

تدخلت بدورى فى الحديث شاعرا بأن الحقائق كلها تتداعى كاشفة عن وجهها الحقيقى .

« البيوت الورقية التى حكى لنا عنها ( بيلى ) حيث قبل النفس لا أعرف إن كنت ترى رأيى لكن هذا يذكرنى بالزنابير ! »

هز ( شوارتز ) رأسه موافقًا :

« الزنابير الاجتماعية نعم بالمناسبة . من هو مخترع الورق ؟ »

كان ( هارى ) قد تعود هذه الاسئلة . الأسئلة التى لا بد أن يجيبها غير ما تتوقع . عندما يمسك أحدهم هل الطن



أثقل أم الظن أن تشع بتردد وتتوجس من خدعة ما .  
لا بد أن الظن أثقل لذا قال في ضيق :

« لا تقل لي إنها الزنابير .. »

« هذا صحيح . القصة الصينية تقول إن مخترع الورق ( تساي لون Ts'ai Lun ) استلهم اختراعه من الدبور أصفر الرأس الذي يمصغ الخشب ليصنع منه عينة هذه العينة يشكل منها بيوتًا من ورق تشبه بيوت النحل لكنها أقل دقة هذا يفسر لك المشهد المخيف الذي كان آخر ما رآه القس ( توم لين ) تحول إلى دبور آدمي يمصغ الخشب ويصنع منه الورق .. بعض هذه البيوت يبلغ درجة مذهلة من الإتقان ثمة نوع يدعى ( غليون الهولندي ) يبلغ حجمه قياسات مخيفة . »

« وهذا الدبور الادمي انقض على القس ؟ »

« كيف مات القس ؟ مات وهو يتحسس عنقه .. لقد تورمت حجرته واتسدت الدبور لا يستقر قبل أن يلدغ كما تفعل النحلة . لكنه يمرق جوارك بسرعة البرق ويسدد لك لدغة محكمة بزياته لهذا لم يره القس ولا القس ( توم لين ) يفعل شيئاً يشبه الأمر قذفة صاروخية تمر

بحوارك وبعد أن تباعد في الأفق تكتشف أنك تنزف وأن صاروخاً أصابك بإحكام .. »

هنا قررت أن أسأل بدوري :

« ما معنى جر جسد العجوز ( سكروج ) ؟ »

قال ( شولترتز ) :

« لا نعرف ما الذي جره .. لكن هذا سلوك شائع لدى الحشرات .. لا بد أنها أحنته إلى عشها لتأكله على مهل .. »

ارتجف ( هاري ) وارتجفت للفكرة . لو كان هذا قد حدث فبته من المحزن أن أتذكر العجوز جالساً في الليل يصفى لما فعلته ( كاتى ) ويقول : « فى سننى هذه يصعب أن تجد صديقاً غير المال يا صبي .. إنه لا يكذب عليك ولا يسرقك ولا يتخلى عنك .. ولولا المال الذى أملكه لألقوني فى الصحراء لكلاى البرية .. »

سألت سؤالاً آخر :

« رأينا كل شيء ممكن .. لكن ماذا عن الغناكب ؟ سوف يكون من المخيف أن تكون هناك غناكب بشرية لكن لماذا لم نلق أحدها حتى الآن ؟ »

ابتسم ( شوارتز ) وقال في غموض :

« هل تعرف السبب ؟ يدهشنى أن يقع طبيب فى الخطأ الشائع ذاته .. »

« أى خطأ ؟ »

« العناكب ليست حشرات . العناكب ذات ثمانية أرجل . بينما لا تكون الحشرة حشرة إلا إذا كان لها ست أرجل ، وانقسم جسدها بوضوح إلى صدر وبطن ورأس .. واضح أن الأمر الذى يحدث هنا يتعلق بالحشرات ولا شيء سواها »

مشينا فى ظلام الليل على غير هدى عاجزين عن العودة إلى الموتيل غير راغبين فيه . كنا راغبين فى الفرار . فلماذا لا نفعل هذا الآن ؟

قال ( هارى ) وقد بدأ يبتلع هذا الكلام العجيب .

« لكن لا توجد تحولات مظهرية واضحة .. هل تعتقد أن هذا الدبور البشرى كان يطير وله زبان يتدلى من مؤخرته ؟ »

« نحن لم نره بوضوح .. لكننى على الأقل رأيت الفتاة ( ماى ) بالتأكيد لم تكن تشبه الذئبة .. إما أن التحول جزئى وإما أن هذه مرحلة أولى ولنسوف يكتمل الأمر قريباً . »

قلت فى قلق :

« هل تعتقد أنه من الممكن أن نرى أمامنا هؤلاء الرجال الزنابير يحلقون فى الهواء ؟ »

« أنا لا أعتقد أى شيء . ما يحدث هنا غير مسبوق .. نحن نتعلم بالطريقة الصعبة .. نتعلم أثناء وقوع الأحداث لا قبلها .. لو رأيت رجالاً زنابير يطيطون ويلدغون فمضى هذا لأن هناك رجالاً زنابير يطيطون ويلدغون لا توجد طريقة أخرى »

ونظرنا إلى السماء المظلمة التى تلبدت بالغيوم ..

وشعرنا بهلع .. يمكن بالفعل أن نتصور الآن أن تمتلئ هذه السماء بالزنابير الأدمية . يبدو عسير التصديق لكن أى شيء يمكن تصديقه فى هذا الذى يحدث ؟

إن الخطر داهم .. بالفعل تحمل السماعات التالية احتمالات كابوسية ..

هنا قال ( هارى ) أهم سؤال فى الأمسية كلها :

« عرفنا ما يحدث لكن لماذا يحدث ؟ ما تفسيره ؟ »

نعم . السؤال الأول دائماً يكون لماذا ؟ السؤال الثانى هو كيف ؟ السؤال الثالث هو لماذا ؟

★ ★ ★

-2-

دخلت بيت القس عندما أشرقت الشمس ..

لم يعد المأمور حتى الصباح ولم يعرف أحد عنه شيئاً ،  
لكنى استبعدت أن يموت . هو أذكى من ذلك . دعك من  
أنه ظل مأموراً سبعة عشر عاماً ..

لقد حكى لى ( بيللى ) والفتاة الكثير عن المأمور وساديته  
التي امتدت لكل شيء حتى أسرته . لا أعرف ما حدث له ،  
لكنى بشكل ما أشعر بأنه يستحقه ..

كان ( شوارتز ) هو الذى اقترح أن ندخل بيت القس  
وأن نفعل هذا بأنفسنا .. إن المأمور لن يسمح بذلك طبعاً  
بسبب موقعه الرسمى ، ولما كان القس غالباً يعرف كل  
شيء . فإن بيته قد يحوى دليلاً ما ..

قال ( شوارتز ) وهو يدور حول البيت المغلق :

« أنا أحلم بمتكرات .. هذا عسير لأن القساوسة لا يكتبون  
ما يسمعون من اعترافات ، لكنى أمل فى أن يكون ما سمعته  
مخيفاً . مخيفاً إلى الحد الذى دفعه ليدونه »

كن الاحتمال واهي لكننا قررنا ان نستكشف على كل حال .

لم نكن نعرف البيت فتطوع ( بيلي ) بأن يرافقتنا إلى هناك ومن الخارج بدا لنا المكان صموثا أكثر من اللازم الحديقة مهملّة وإن كانت بها عدة أحواض لسقاء الطيور ، ويبدو أنه كان مولعا بها حقاً ..

هناك بيت بالنسبة لى كمصرى يبدو أى بيت ذى حديقة وحرا ، لكن من الواضح أنه متواضع جداً بالنسبة للمعايير الأمريكية ..

قال ( بيلي ) :

« إنه يترك الباب الخلفى مفتوحا .. كل البندة تعرف أنه لا يملك شيئا لذا هو لا يحاف السرقة »

وارتجف صوته لقد تذكره الآن لم يكن يعيل له فى حياته لكن تجربة الليل جمعت بينهما بشكل ما ، ثم جاءت الوفاة المفاجئة الوفاة التى كان يمكن أن تكون من نصيبه لو أن الهجمة أصابته هو ..

فتح ( هارى ) الباب وبحذر دخل ومشينا وراءه فى البيت الذى مات صاحبه مات ولا تعرف هل نسترد جثته

أم لا فى أسوأ كوابيسه لم يتصور أن يموت بندعة زيبور أسمى ..

راح كل منا يتفقد حجرة لا يوجد شيء سوى مجموعات كبيرة من الكتب ثمة نظرة مقربة كن يراقب بها الطيور هناك عشاء لم يتناولوه وسدوا أنه قرر أن يبقى إلى حين العودة من حويلته الاستكشافية تفاصيل صغيرة تجعل فى حلقك غصة لو كنت تفهم ما أعنيه

فجأة صاح الفتى بلهجة منتصرة :

« أنا فى غرفة النوم اعتقد أن هذا شيء »

وخرجنا إلى البهو لتجده ممسكاً بمذكرة صغيرة أمست ( شوارتر ) بها باعتباره صار قدّم مجموعتنا من دون انتخاب قلب الصفحات من آخرها ثم توقف عند مقطع بعينه وتلاه بصوت عال :

« سوف أذهب لأرى بنفسى ما قالت له ( كلاريسا ) »

ما الذى قالت له ( كلاريسا ) ؟ ومن هى أصلا ؟

قال ( بيلي ) وهو يصلح من وضع عوييائه



« زوجة مدرس بلدة .. امرأة بارعة لصن مهنية ..  
تعمل في متجر .. »

قال ( شوارتز ) وهو يجوب بين الصفحات :

« وقد جاءت تقدم له اعترافاً .. الاعتراف الوحيد الذي  
بونه القس لقد كنت على حق .. يبدو أنها الشخص  
الوحيد الذي قرر أن يتكلم في البلدة كلها .. »

ثم راح يقلب الصفحات وبدأ عليه الاهتمام ..

قال بصوت عال مرتجف قليلاً :

« هنا وصف للحفلات كما جاء على لسان المرأة ..  
هذا ملهى جداً . ثمة تفاصيل مريضة هنا لكن لا وقت لقراءة  
كل شيء .. ثم .. لسمعوا هذا الجزء : في المرات التي كانت  
( كلاريسا ) ترفع ذراعها فيها لينحسر لكم الطويل عنها ،  
كنت أدرك أن شيئاً ليس على ما يرام .. هناك شعيرات معقدة  
تحيط بالذراع أجزاء خشنة وأجزاء منساة .. لو شئت  
الدقة لقلت إن هناك أمشاط تبرز من ذراعها ! »

رحنا نتصور المشهد فلم نفلح . يكفى أنه مرعب ..

قال ( شوارتز ) :

« ألم تفهموا بعد ؟ أمشاط .. توجد حشرة تملك ترسلة  
كاملة للتجهيز حول أقدامها . سائل وفرشاة وقطاعات  
ورماح تخترق الشمع .. إنها التحلة ! شغلة للنحل .. لا توجد  
صعوبة في تصور ما انتهت إليه تلك المرأة . »  
وتبادلنا النظرات ..

قال ( بيلي ) :

« إن بيتها قريب من هنا .. هل ترون أن نذهب هناك  
لنطمئن ؟ »

لم يكن هناك ما يمنع .. خاصة أننا وجدنا ضالتنا .. هذه  
المفكرة يجب أن تطلع بعناية ..

على أن ( شوارتز ) فتح الصفحة الأولى ثم غمغم :

« القس دون هنا كلمات أغنية ( إيلنور رجبى ) .. أغنية  
البيتلز الشهيرة .. ما معنى هذا ؟ لماذا هذه الأغنية بالذات ؟ »

كنت أنظر إلى جوانب الممسك المقفر ، والذي لن يعرف  
بعد اليوم إلا التراب والعناكب والظلام . وفي سرى سمعت  
الأغنية القديمة تتردد :

« ( لور رجبى ) ماتت شى الكيسمة ودفنت ومعها دفن اسمها ..

الاب ( مكبرى ) يقص سقار عن يديه وهو يفارق قبرها ..

فلم يتم خلاص أحد ..

هوذا ناس الوحيدون من أير باتون ؟ ولأين ينتمون ؟ »

★ ★ ★

دققنا الباب عدة مرات فلم يرد أحد ..

شعرت بمتنن بعدة الأمريكيس فى عدم إغلاق الباب التحفى . فهي تسمح لك بالدخول فى أى وقت عامة لا أفهم كيف يشعرون بالأمان فى هذه البيوت المنيئة بالشغرات لكن هذا سعدنا على كل حال . ونحننا البيت

كان ( بينى ) يشعر برغبة لانه يقتحم بيت معلمه .. الحق انه كان من النساء نخاس المحترمين فى هذه البلدة كما فهمت لكن كل شىء يؤكك على أن يتلاشى .

« مستر ( رتشاردسون ) ! »

لا أحد يرد . وكور ( هارى ) قبضته متحفزا .. فى أية لحظة يمكن أن تبرز لنا نحلة آدمية عملاقة .. هذا هو ما يمكن فهمه من تلك المذكرات لو كانت دقيقة ، وهى كذلك .. لا شىء فيها يعرض ما قلناه الفتى ولا ما رأيناه حتى اللحظة ..

« مستر ( رتشاردسون ) ! »

بحسب فى كل صوب . فلم تبق إلا غرفة النوم ..

قال ( شوارتز ) وهو يناولنى سكيننا :

« أبقي هذه فى يدك . لقد أتيت بأثنين من المطبخ

نحن لا نعرف ما قد نجده .. »

وفى حذر وجل مشينا نحو الغرفة الوحيدة التى لم نستكشفها بعد .

وقبأة تصلبنا ..

قال ( شوارتز ) وهو يمشى بضع خطوات حذرة للأمام :

« الأمر واضح لقد دخل عليها وقد نزعنا الثياب التى

كانت تخفى حقيقتها .. لا بد أنها حاولت منعه من الفرار »

على الأرض كان المستر ( ريتشاردسون ) جثة هامدة .  
وجهه مزرق تماماً وبظرة هلع فى عينيه . تصلب عام فى  
أطرافه . وفى قلبه انفرس ذلك الزبان العساق . بحجم  
خرطوم الرى ..

لكن المثير فى الأمر هو تلك الجثة التى هى خليط غريب  
من امرأة ونحلة . على بعد مترين من الجثة الأولى ، وقد  
اكتست بالشعر تماماً . الأطراف مغطاة بتلك الأصوات المعقدة  
كما وصفها ( شوارتز ) . لمشط فرش . صلال لجمع حبات  
النقح . مخالب للتمسك بالسطوح الحشنة . إلخ . ويبدو  
أن الزبان كان يخرج من أسفل ظهرها . العينان مفتوحتان  
لكلها عبارة عن مجموعة من العيون المركبة المترابطة

وكأية نحلة شفافة حقيقية تحترق نفسها غرست الزبان  
فى قلبه ، لكنها تركت معه جزءاً من أحشائها .. لقد مات  
الاثنان فى اللحظة ذاتها ..

كان المشهد غريباً . غريباً إلى درجة أنه ليس  
مفزعاً . لا بد من خبرات معينة فى ذهنك تستدعيها  
للشعور بالفزع ، أما هذا المشهد فقد تفوق على كل  
شيء ..

بلل ( هارى ) شففيه بلسانه ، وقال :

- « معنى هذا أن التحول مورفولوجى كامل . »

- « هذا صحيح .. »

وانحنى ( شوارتز ) يتفحص الجثة الأكثر غرابة :  
النحلة .. وقال فى قلق :

- « ما يضايقتنى هو أنها تبدو أقرب للنحلة منها  
للأنثى . ما كان القس ليفتح لها باب بيته وهى بهذا  
الشكل .. »

- « وماذا فى ذلك ؟ »

قلت لنا وقد فهمت ما يريد قوله :

- « معنى هذا أن التحول كان سريعاً جداً . لقد ظلت  
فترة لا بأس بها بمظهر طبيعى أو ربما كانت تخفى تلك  
الشعيرات بمساعدتها .. لكن فجأة صارت بهذا الشكل .. لا بد  
أن الأمر تم خلال ساعة أو ساعتين .. »

قال ( شوارتز ) وهو يهز رأسه :

- « هذا مقلد أكثر من شخص سيتحولون في الساعات القادمة .. »

المصيدة تنفلق علينا ببطء ..

تري أين وكيف سنكون غدا ؟

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب .. ما وراء الطبيعة ٢١٧

### -3-

« جوني .. أمسك بالقوس واعزف كماتك جيدا .. »

إن الجحيم قد تفجر في ( جورجيا ) والشيطان يوزع أوراق اللعب ..

فلو فزت لربحت هذا الكمان الجميل المصنوع من الذهب .

ولو خسرت لظفر الشيطان بروحك ! »

★ ★ ★

من تبقىوا من أهل البلدة كانوا يقفون في الشارع الرئيس بينما تلك السيارات تندفع مبعثرة الرمال والغبار .. سيارات فاخرة من ( فينكس ) إنه فريق الشرطة الذي اتصل به المأمور منذ أيام ..

حوالي أربع سيارات ثم سيارة كبيرة نوعا تشبه سيارات ( البوكس ) عندنا . وسرعان ما توقفت السيارات جميعا أمام مكتب المأمور .. وترجل منها الركاب . فيما بعد رأيت فيلم ( رجال في ثياب سود ) فخطر لي أن هذا



مظهرهم بالنضبط النظارات سود . الثياب سود وأنيقة جداً . بعض الرجال له مظهر كلب الحراسة انشرس اليقظ . يمكنك أن تسمع أفكارهم . هذا الوكر الحقيق . ماذا يمكن أن يحدث فيه ؟ رجال الشرطة الريفيون هؤلاء لا يعقون شيئاً . دع هؤلاء القرويين يروا قوة التمدين .

بدا من منظرهم أنهم مندهشون لأن أحدا لم يلتهم

ومن السيارة التي تشبه ( البوكس ) نزل رجال في ثياب سود بدورهم ، لكنهم مدججون بالسلاح ويضعون كاسكيات على رؤوسهم يبدو أن هذه قوات ( السموات SWAT ) ذائعة الصيت كانوا حوالي عشرين رجلاً وقد وقفوا عاجزين عن معرفة ما عليهم عمله . ينظرون حولهم يتبادلون الكلام الهامس أحدهم راح يتظاهر بإطلاق النار على صبيين شقيين هؤلاء القوم مدربون على إطلاق النار ثم التفاهم . وهذا الوضع انمرتك لا يروق لهم .

أكبر الرجال وأهمهم شأن كما هو واضح يقف حائراً ويضع يديه في خصره ثم ينظر متسائلاً .

دنا منه أحد الفضوليين الواقفين ونزع قبعة الرثة وقال

له :

- « معذرة يا سيدي المأمور مختلف منذ البرحة وكذا مساعد .. »

- « إذن من المسئول الأمني في هذه البلدة ؟ »

- « لا أحد »

- « غريب ! »

وتبادل النظرات مع من حوله ..

- « لهذا لم يرد على الهاتف .. »

هنا كنت أنا و ( شوارتز ) و ( هاري ) قد دنونا من الرجل . كان ( شوارتز ) أدرأنا بالشرطة دعك من مظهره الموحى بالاحترام والثقة . أنا أبدو كالجرادة و ( هاري ) يبدو مشاغباً ..

قال ( شوارتز ) وهو يمد يده لمصافحة الرجل :

- « د . ( جوزيف شوارتز ) خبير منتدب في علم الحشرات العدلى . إن إدارتكم أرسلتني هنا »

ظل الرجل ينظر له متسائلاً من وراء زجاج نظارته  
الأسود

قال (شوارتز) :

- « المأمور اختفى . لكن بوسعى أن أعطيك تقريراً كاملاً عن الأحداث الغريبة التي وقعت في هذه البلدة .. لو أردت رأيي لقلت أنها أحداث استثنائية . هل معكم أحد من الـ FBI ؟ »

- « لا .. نحن رجال شرطة فقط .. »

- « إذن ستكون مهمتى أسهل .. »

فكر الرجل قليلاً ونظر لمن حوله . وقال :

- « هل راحة البلدة كريحة هكذا دوماً ؟ »

- « سوف تعتاد هذا . وتعتاد الأضواء الليلية وصوت

الطبول المعدنية وصوت نطاط الحقل صدقتي »

أشار الرجل إلى مكتب المأمور فأزاح (شوارتز) الباب ودخل ودخلنا خلفه ..

كان الأخوان (كالاهان) يذهب في الحجز يتسلبان بلعب دور (العصى الرحالة) عندما رأيتا . لم يتكلما بل ظلا ينظران لنا في فصول من وراء القضبان .

استدار (شوارتز) ليقول لـ (هارى) همصنا :

- « سف لوقاحتى لكن هدين لم يكمل شيب مند  
الرحلة هل بوسعتك أن تتاع لهم بعض انيسكويت من  
أى متجر ؟ هذه هي مشكلة السجاء ما مات السجان »  
- « وهل السجان قد مات ؟ »

- « أعتقد هذا .. »

وهناك فى المكتب الذى كتب على بابيه (المأمور)  
اجتمع (شوارتز) بالرجال المتأنقين الذين كان عددهم  
عشرة وبدا (شوارتز) يحكى انقصة مد بدايتها

★ ★ ★

- « مستندرا !! »

كان هذه من (بيلى) وهو يرى الفتاة قدمة من نهاية  
الشارع سليمة بحق سليمة حدا وثق قلبه فى صدره  
لم يتصور أنه سيراهما حية مرة أخرى ..

دنت منه ونظرت له فى ثبات ، ثم قالت :

- « هو ذا الفتى الشجاع قد عاد .. »

قال فى ضيق :

- « لقد لحقت بك . لكن كانت لى مغامرة قاسية فى  
(مخالب الشيطان) .. إن قبلد ذاهبة إلى الجحيم فعلاً . »

- « لن أستغرب هذا .. »

- « لقد هلك القس الأب ( ميلروى ) . كان هذا أمام  
عيني .. »

اتسعت عيناها الصافيتان . ووضعت يدها على كفه  
وهمست :

- « يا للبالس الصغير ! »

كانت دمعتان متحجرتين بالفعل خلف عويناته .. وأدرك  
أنه لو تكلم لانفجر باكياً وكانت فضيحة قالت هي :

- « أنا ذهبت ورائت ما يحدث هناك .. يبدو لى أن الساعة  
قد حانت . إنهم قد تلقوا أوامر التفرق فى البلدة »

- « وهل مارسوا ذات اللطقوس ؟ »

- « ذاتها .. »

ساد الصمت قليلاً ، ثم قال :

- « كانت ليلة دامية .. القس مات .. المأمور ونائبه  
محتفيان وكذلك ( سكروج ) العجوز صاحب الموتيل ..  
الأستاذ ( ريتشاردسون ) وزوجته ملقا .. »

هتفت فى ذهول :

- « يا للهول ! ( كلاريسا ) !! »

- « نعم .. تلك الحساء الرقيقة .. لقد صارت نحلة  
أدمية وقتلت زوجها . يقولون إن هناك بشراً يتحولون إلى  
حشرات .. وهناك رجال من ( فينكس ) جاءوا للتحقيق »

قالت بلهجة تقريرية :

- « الليلة ساعود . أنت حر فى اللحاق بى أو تركى .  
ربما يقبل ( جويل ) أن يصحبنى . لكنى أعرف يقيناً أن  
الكاهوس بدأ من موضع ما قرب أكواخ ( النافاهو  
Navajo ) القديمة التى بنيت قرب المنجم .. سوف أذهب  
هناك »

- « ولماذا لا تخبرين رجال الشرطة ؟ هل يجب أن  
تلعبنى دور الفتاة الحمقاء فى أفلام الرعب ؟ تلك التى تموت  
لأنها ( أرادت ذلك ) ؟ »

قلت وهي تتحسس حصلات شعرها

- « ليس لدى ما أحكيه إلا الشكوك . لا بد من أن

تأتي »

كان ( بيني ) يعرف هذه الكواح المتناثرة قرب  
المحيط ( إن هود ( هادمو ) والد ( هوبى ) هما أكبر  
جمع ليهود في الولايات المتحدة كنها منذ زمن سحيق  
كانوا يعيشون في كندا ثم هاجروا للحبوب ليستقروا فيما  
عرفه اليوم باسم ( أريزونا ) احتطوا بيهود آخرين  
مرار عين اسمهم ( بوسلو Pueblo ) فنعلموا منهم فتون  
الزرعة يعيشون في الكواح من طين يمارسون فيها  
المنسجج الكواح لها حاصية مميّزة هي أنها مفتوحة نحو  
الشرق هذه هي الطريقة التي يحيون بها الشمس  
ونهم محمّلهم الحاصل بعيد عن عادات الأمريكيين  
والعكسيين لهم كذلك لعهد الحاصية التي كان  
لأمريكيون يستعملون أثناء الحرب العالمية الثانية كنوع  
من الشفرة التي يستحيل فهمها على اليابانيين

بكر النيز وطلام ونعممرة ويد ( ساندرا )  
ترجع في يد لو لم تقع في حبه بعد مغامرة كهذه فلن

يحدث هذا أبدا .. الجبناء لا يظفرون بأى شيء ويموتون  
منحصرين .

فكر قليلا ، ثم قال لها :

- « ليكن لكن متى ؟ »

- « التاسعة مساء . تتحرك من جوار ( جاكسون ) .  
لا تنس كشافتك »

نعم الكشاف . ولسوف يتزود باحتياجات أكثر

★ ★ ★

لما انتهى ( شوارتز ) من عرض القصة كان واضحا  
دقيقا مقنعا إلى درجة أن كبير القادمين من ( فينكس ) -  
ويدعى المفوض ( مكالستر ) - قال في حماس .

- « كل ما تقوله كلام فارغ ! »

كانت هذه هي النهاية . لا يوجد ما يضاف إلى القصة .  
قلت وأنا أتوقع أن يقول لي أحدهم إنه لا شأن لي بهذا :

- « هل فحصت الجثث التي أرسلوها لكم ؟ »



- « لدينا تقارير للطب الشرعي .. ولا أرى أنها تدعم حرفاً مما يقول هذا الرجل .. »

- « هناك جثة احتفى رأسها وعقها وأعلى صدرها .. هل لديك تفسير لهذا ؟ ما لم توجد سمكة قرش في شوارع البلدة دعك من أن هناك امرأة ميتة هي مزيج من نحلة وامرأة .. أؤكد لك أن منظرها ليس محبباً .. »

- « ليس لدى تفسير لكن هناك حلاً منطقيًا في مكان ما بدلا من هذا الهراء عن الحشرات .. بعض الجنث التي وجدوها سنيمة تحوى سماً في الدم .. وهذا السم يمكن للقاتل حرقه في الجسد .. إنه ... »

وفتح ورقة كانت أمامه ليتذكر الاسم ثم قال :

- « حمض الفورميك »

تبادلت و ( شوارتز ) النظر حمض الفورميك الذي يترجمه البيولوجيون العرب بحمض ( النمليك ) ! السم الذي تحقق به السمعة ضحاياها ، عندما تكون عندك نملة بحجم الإنسان فإن سمها يمكن أن يقتل إنسانا بسهولة تامة .

قال ( شوارتز ) باسمًا :

- « هل ترى ؟ لم نر قاتلاً يستعمل حمض الفورميك من قبل .. لكن .. نملة عملاقة .. ألم تفكر في هذا ؟ »

وأشعل لفافة تبغ فهتف ( مكالستر ) :

- « أنا لا أسمح بالتدخين .. لقد صار هذا المكتب مكتبي من اللحظة .. وأمن هذه البلدة هو مسئوليتي الخاصة .. »

لم يطفئ ( شوارتز ) لفافة تبغه وإنما نهض ، وقال في ثبات :

- « حسن .. أرجو أن تنعم بوقتك هنا لكن أتصحبك بأن ترسل رجالك للبحث في منطقة ( مخالب الشيطان ) قبل فوات الأوان .. ربما استطعتم إلقاء المأمور أو العودة بجثته .. »

- « شكرًا على نصائحك .. والآن لو سمحتم لي .. فنحن مشغولون .. »

غادرت المكان أنا وصديقاى الأمريكيان

وفي الخارج كان زحام السيارات .. بينما رجال الأمن المسلحون لا يعرفون ما يجب عمله .. لم يرسم لهم أحدهم

خطة من أي نوع بعضهم راح يتسلى بالعبث في أنفه ..  
وبعضهم أشعل لفافة تبغ بعيداً عن عيني قائده ،  
والمبتكرون منهم راحوا ييصقون على الأرض ثم يقطون  
النصفة بالفار لعبة مسلية كنت أمارسها في المدرسة  
الابتدائية لقد جاءوا للقتل ولا يعرفون سبب هذه  
الربكة ..

قلت لـ ( هاري ) :

- « يبدو أننا سنشتاق أيام المأمور الباسمة . أرى أنه  
كان رجلاً رقيقاً نكياً .. »

قال ( شوارتز ) وهو يذوق لفافة التبغ :

- « مركبات نقص من الطرفين . ضلالات .. المأمور  
كان مصاباً بوساوس الفحولة والقوة . هؤلاء مصابون  
بوساوس الذكاء والاحتراف المهني .. إنهم لا يقبلون أن  
يستمعوا لأحد ولهذا سوف يفشلون . »

- « وبعد هذا ؟ »

- « إن قبضة الدولة أقوى من كل هذا السخف  
سوف تأتي وحدات من الجيش وتسيطر على كل شيء

حتى لو أحرقوا البلدة كلها بالنابالم . لكننا على الأرجح  
سنكون قد هلكنا .. »

أخبار باسمة بحق .. سوف تنتهي المشكلة لكننا سنموت  
في جميع الحالات . بشكل ما أحسد من هلكوا .. على الأقل  
هم يعرفون يقيناً أنهم لن يموتوا !

صوت الدقات يتعالى ( بانج بانج ) . والرائحة الكريهة  
لم تتحسن ..

وذلك الهاجس يعاودني : المنجم . المنجم .

قلت له وأنا أنظر تجاه الموتيل الذي نراه عن بعد :

- « سوف نتناول الغداء ثم نتجه إلى منطقة ذلك المنجم  
أعتقد أن بوسعنا أن نعرف شيئاً .. »

- « هذه مخاطرة مع ما نعرفه وما رأيناه . »

- « ستكون المخاطرة محدودة نوعاً في النهار . »

- « ولماذا المنجم بالذات ؟ »

طبعاً لا أقدر على التفسير .. لذا قلت :

« لأن الجميع كانوا يلتقون هناك »

وهكذا اتجهنا إلى الكافتيريا التي فقدت صاحبها أمس .  
ونادى ( هارى ) ( باتريشيا ) ليوصل غداء طيباً ولم ينس  
أن يلقي عليها كلمة غرة عابرة قابلتها ببرود مهنى .. تشد  
شفتيها حتى تصيرا رفيعتين تماماً على سبيل الابتسامة مما  
يذكرنى بالضحكة للصفراء لدى مرضى الكزاز ( التيتانوس ) .  
ثم تنصرف وتعود حاملة تلك الصحيفة بها عليها  
قلت لها وأنا أنقل ما تحمله إلى المنضدة .

« ما هو مصير المحطة والموتيل والكافتيريا يا ( باتريشيا ) ؟  
من سيدفع لك راتبك ؟ »

نظرت لى فى سماجة بما معناه أن هذا ليس من شأنى  
ثم دست القلم خلف أذنها ، وقالت :

« لا أحد . لكى سأدير كل شيء إلى أن يظهر العجوز  
أو أحد ورثته . لاحظ أنى كنت أفعل كل شيء وحدى  
ثم إن العجوز لم يكن يعطينى مالا على الإطلاق . لن يتغير  
إيقاع حياتى كثيراً .. »

لما انصرفت وتأكدت من أنها ليست هنا ، قلت للرجلين .

« طبعا يجب أن نتفق على أن ما يقال هنا سر . بالذات  
بالنسبة لهذه الفتاة .. لاحظ أنها أصر من تكلم مع  
( مكروج ) قبل اختفائه .. »

ثم نظرت إلى ( هارى ) محذراً :

« أنت بالذات كفى عن قاعدة ( جميلة إذن هى  
بريلة ) .. »

قال فى ضيق :

« قاعدتى هى ( جميلة إذن هى تصلح ) »

انتهينا من الغداء ، فقلنا بصوت عال أننا سنقوم بجولة  
فى البدة . تعرفون تلك الطريقة الساذجة فى الأفلام العربية  
القديمة . يمكن لأى مغفل أن يعرف أننا نكذب . فقط  
تمنيت ألا يكون فيلم إسماعيل يس الذى يقول فيه ( فتشنى  
فتش ) قد عرض فى الولايات المتحدة ..

غادرنا الموتيل ركبنا سيارة ( هارى ) التى راحت

تقطع شوارع المدينة متجهة إلى منطقة المنح

قال ( هارى ) وهو مصر على إغاضتى :

- « هذه معلومات عامة .. حتى أنا خبير الحاسبات الآلية أعرف هذا .. »

.. « ليكن .. اعتبروا أنكما تصحبان حمرا .. ربما أكون جاهلا لكنى أملك مزية أتفوق بها على الجميع . أنا جاع للعلم طيلة الوقت . وأمتصه كبعوضة جائعة . ولهذا اعتبر نفسى رائعا .. »

لم يحب الرجلان نفظة ( بعوضة ) وبدا أننى لم أوفق تماما فى استعمالها .. إلا أن ( شوارتز ) تقبل هذا وواصل الكلام :

- « العملية اسمها الترشيح الحيوى bioleaching . فى الواقع ليست بكتريا بالضبط .. لو شئت الدقة لقلت إنها archaea ( أركيا ) .. إنها يبحثون عن بكتريا تتحمل الحرارة العالية أو سمية الفلزات ذاتها .. مثلاً قد يجدون أنواعا منها فى منجم فحم فى أستراليا أو بركان فى إيطاليا . البكتريا التى يستعملونها هنا تتحمل درجات حرارة تصل إلى ٧٠ مئوية . يجلبونها من بركان إيطالى

سألت ( شوارتز ) عن أعمال التنقيب عن النحاس هنا . لا أشعر أن هناك نشاطا كبيرا .. كنت أحسب البندان التى توجد فيها مناجم أكثر صخباً . قال وهو ينظر خارج النافذة :

- « هذا المنجم قد انتهى منذ زمن . لكنهم يستعينون بالبكتريا لفصل نحاسه . يعتقدون أن هذا قد يعطيهم عشرة آلاف طن أخرى . لهذا يبدو عملهم هنا أقرب إلى عمل البيولوجيين . إن سلاة هذا الموضوع هم العلماء السوفييت الذين أنشؤوا محطة لفصل النحاس بيولوجيا فى جبال الأورال . ومن ثم انتشر الأمر فى الولايات المتحدة وفى كل مناجم العالم »

بدا لى الأمر غريبا . ما دخل البكتريا باستخلاص النحاس ؟ كانت هذه أول مرة أسمع فيها شيئا كهذا .

قال ( شوارتز ) وقد أدهشه جهلى :

- « كنت أحسب هذه الأمور بديهية بالنسبة لك كطبيب . »

قلت فى غيظ :

- « حقا . إن التعدين جزء مهم من دراسة الطب عندنا فى مصر . لكنى لم أهتم به . »



لذا يظنون عليها Acidianus infernos .. اسم موح  
بالجحيم كما ترى .. »

قال ( هاري ) وهو يتابع الطريق :

« حماس علمي جميل . كنت أعرف أنني أذهب إلى  
الجحيم مع مذبولين . لكنني توقعت أن خبيلهما من النوع  
الحميد .. »

بالفعل كان محققاً . لذا اثرت الصمت . ليس أفضل وقت  
تناقش فيه تقنيات استخراج النحاس هو الوقت الذي يتحول  
فيه البشر إلى حنافس

ومن بعيد بدا لنا الجسر الذي يصل إلى المنجم

★ ★ ★

#### -4-

بين الأخدين التي يظنون عليها مخالف الشيطان مشى  
رجال الشرطة

الحق أنهم بدءوا يشعرون بشيء غير مريح . هذه  
الشبكة المعقدة من البيوت الورقية والشمعية والطينية  
مشهد سريالي رسمه ( دالي ) بجهد جهيد . لو كنت هناك  
لأخبرتهم أن المخرج الإسباني السريالي المجنون ( لوي  
بونويل ) كان يعشق الحشرات ويقحمها في كل أفلامه ..  
( كافكا Kafka ) قدم اسوا نمودح للتحول الحشري عندما  
جعل بطل روايته ( المسخ ) يتحول إلى شيء أقرب  
لصرصور عملي باختصار لا يمكن تقديم كابوس من  
دون حشرات هذا يفوق القدرة البشرية

في المقدمة كان ذلك الرجل الذي نسيت اسمه .. هل كان  
( ماكتنر ) ؟ والمسدس في يده . الرجال كانوا متوترين  
لكنهم كانوا محترفين . لذا اتحدوا أوضاعاً مدروسة وهم  
بمسحون المنطقة فتو تحرك فأر لتحول إلى بخار خلال  
ربع ثانية ..

من حين لآخر يسقط أحدهم فى أخدود فيسب ويلعن  
ويعاونه الرجال على النهوض .. إنهم يبحثون عن المأمور  
الذى ذهب يبحث عن جثة القس ..

قرب حفرة بعينها وقف أحد الرجال وصاح ينسأى  
( مكالستر ) :

« هلا اقتربت أيها المفوض ؟ »

أسرع ( مكالستر ) يلحق به وهو يتوقع أن يرى جثة  
شاخصة البصر فى قاع حفرة من هذه . لكن ما رآه كان  
لا يصدق . سوف يزور المشهد كوابيسه للأبد لو عاش ..

كان هذا هو المأمور بالتأكد .. قميصه والشارة تقول  
هذا ، لكن عيبه تنظران لأعلى .. إنه حى .. فوق صدره  
بقيا بيض عملي معرق كأن طيوراً قد فقسست منه .. لكن  
لم تكن هناك طيور . كان هناك كتبات عملاقة هى مزيج  
شنيع من بركات وأطفال . وكانت تلتهمه حياً .

لم يكن يتحرك . فقط قالت عيناه المذعورتين كل شيء ..  
أنقذونى !

ما لم يعثمه هؤلاء هو مدى السخرية الكامنة فى هذا  
المشهد القاسى . لعله شيء مقصود .. المأمور قضى  
سبعة عشر عاماً فى الخدمة .. والزنبور بهوئى اصطيد  
( السيكاذا ) التى يطلقون عليها اسم ( جرادة السبعة عشر  
عاماً ) . السبب أن بقعة ( السيكاذا ) تقضى سبعة عشر  
عاماً تنمو فيها تحت سطح الماء ثم تخرج للسطح لتعيش  
أربعة أشهر فقط . الليلة قد ظفر الزنبور بهذه الجرادة  
العملاقة . وهو ذا قد خدرها ليثقلها عن الحركة وألقى بها  
فى حفرة ثم وضع بيضه فوقها .. والغرض هو أن تجد  
اليرقات التى تفقس ما تأكله ..

من قاتل إن عالم الحشرات ليس شديد القسوة ؟ إن  
الجرادة البائسة تظل حية بينما تتغذى عليها تلك اليرقات  
الشعبة

سبعة عشر عاماً أيها المأمور .. ما كان يجب أن تثرثر  
بهذا كثيراً ..

حالة هستيريا انتابت ( مكالستر ) ، فصرخ فى رجاله :

« اقتلوا هذه المخلوقات الفكرة !! »

نظروا له في حيرة . لا يمكن التصويب من دون قتل  
الـ ...

- « امركم بإطلاق النار ' إنه لن ينجو مما أصابه ..  
فلتريحوه !! »

وانطلقت البنادق الآلية تمزق كل ما كان في الحفرة ..

★ ★ ★

تاتا تا تاك !!!

كنا فوق الجسر عند المدخل تقريباً عندما سمعنا هذه  
الطنقات انتفضنا جميعاً لكننا قدرنا أن الفرقة إياها  
تتفقد المنطقة وما داموا فعلوا هذا فلمسوف يقابلون  
أشياء كثيرة تستأهل إطلاق النار ..

قال ( مولوتز ) :

- « برغم كل شيء أشعر بالاطمئنان لأن هؤلاء هنا ..  
إنهم مسلحون ومحترفون »

قلت وأنا أنظر إلى الأفق :

- « لا أشاركك الرأي .. إنهم حمقى وهذا مقلق .. ثم  
إنهم قد يتحولون بدورهم ! تخيل قوة من رجال ( السوات )  
تحقق حاملة أسلحتها وتوسع كالزنابير ! سيكون هذا فيلم  
رعب رائعاً ! »

قال ( هاري ) مصححاً :

- « ليمسوا من ( السوات ) . إنهم رجال شرطة مسلحون  
مدرّبون .. هذا كل شيء .. »

كان مدخل المنجم واسعاً للغاية كأنه فم الموت الفاجر ..  
وعندما دخلنا استطعنا أن نرى تلك الصفوف المعلقة من  
المصباح لواهنة الكنيبة تتدلى من سلك واحد عند السقف .  
وكانت مضادة برغم أنه لا أحد هناك كانت هناك عربات  
صغيرة تقف عند بداية خط حديدي عربات صدية لا يبدو  
أنها تستعمل كثيراً .. هناك فنوس ومعدات حفر وبضع  
خوذات معلقة .. بعضها من الطراز الذي يثبت فيه مصباح ..

هناك مصعد .. مصعد حقيقي مثبت لجدار صخري . له باب  
من القضبان الحديدية ..

لا يوجد كائن بشري هنا ..

## الحر خالق والرطوبة عالية بحق ..

الآلم يتزايد في صدرى مع اضطراب الحفقت الذى يجعنى  
أسفل

توقفت على المدخل واستندت إلى الجدار ، وفكت في حزم :

« أنا لن أنزل لن أتحرك خطوة هذا أقوى منى .. »

قال ( هارى ) فى غوط :

« أنت أحمق كالعادة لا تنس أنك من قى بنا هنا »

نظر لى ( شوارتز ) مدققاً ، ثم قال :

« هل تعتقد أن سبب ما تشعر به هو رهاب الأماكن

المغلقة ( كلوستروفوبيا ) ؟ أم إن قلبك مريض ولا يتحمل

نقص الأكسجين ؟ أم إنك - ببساطة - جبان ؟ »

قلت وأنا أسفل متحسماً صدرى :

« كل هذا معاً ! من يرد النزول فليفعل .. لكن اتركاتى

هـ »

هر ( شوارتز ) رأسه . بدا واضحاً أننى لا أمزح .

راح ينظر حوله ووقفت عيناه على جهاز عملاق للتهوية

وصهريج كبير تخرج منه مجموعة من الخراطيم الغليظة

تتوى أرضاً وتتجه إلى أعماق المنجم .. لا يمكن أبداً أن

تعرف أين توجد نهاياتها ..

اللفظ خوضة ذات كشاف ، وأضاء هذا الأخير ، ثم قال

وهو يصوب للنور إلى تلك الأشياء :

« هل ترى هذا ؟ هذا المحلول يحوى البكتريا التى

حكيت لك عنها . إنهم يفرقون المنجم به ثم يتركونه

بتفاعل بعد هذا يشفطون السائل وينزل الرجال للبحث

عن الفحاص الذى فصلته البكتريا .. »

« قلت إنها ليست بكتريا .. »

« بانفعل اسمها ( أركيا ) .. لكن دعنا من هذا .

من الغريب أنه لا يوجد أحد على الإطلاق هنا »

« لست حزينا على هذا .. »

نظر ل ( هارى ) متسائلاً . هل تتوغل معى ؟



كان هذا الأخير مستعداً لخوض أية متاعب في أى مكان  
في أية لحظة ؛ لذا كور قبضته موافقاً .. وفي هدوء اتجه  
الرجلان إلى المصعد الحديدى .. واعتمر كل منهما خوذة  
من تلك المزودة بكشاف ..

صحت في رعب :

- « هل هذا الشيء مأمون ؟ »

- « سنعرف حالاً ! »

وسرعان ما أغلق الباب الذى يذكر بكضبان السجن  
وضغط على الزر ارتج المكان كله وتماثلت الفيار من  
السقف مصعد من العصر ( السليوزى ) كما هو واضح  
ثم بدا يهبط وهو لا يكف عن الارتجاج لأسفل كل شيء  
يوحى بعدم الثبات فلو عرضوا على مليون دولار مقابل  
ركوب هذا المصعد لـ .. لفكرت قليلاً قبل أن أوافق

سرعان ما توارى المصعد ووجدت اتسى أحرق في بئر  
عميقة تفصلنى عنها بوابة من القصبان

أخيراً أنا وحدى ..

أحب الوحدة بحق لكن ليس هنا . ليس هنا .  
ونظرت لساعتي . إنها السادسة مساء .

ترى ماذا يحدث في الخارج الآن ؟

★ ★ ★

بعد ثلاث ساعات تقريباً دوت الطلقات من جديد

★ ★ ★

تاتا تاتاك !!!

أجفل ( بيلى ) والفتاة حينما دوت هذه الطلقات

نظر لها فوجدها مذعورة فعلاً ..

كن يتوقع سماع طلقات منذ رأى هؤلاء القوم في البدة .  
من الواضح أنهم في منطقة الأخاديد هذا واضح من اتجاه  
الصوت وإن لم يعد واثقاً لأن الصدى يفعل أموراً عجيبة ..

قال لها :

- « لا تخافى .. إنيهم يمشتون مخابل للشيطان يقصونها

لو أردت الدقة !! »

كان تنظر للسماء . وتضم كفيها معا أمامها .. خطر له  
أنها تصلى . ولكن لا . هذا المنظر يبدو مألوفاً . راه  
من قبل ولكن أين ؟

يمشيان بين الأكواخ الطينية التي كان أولئك ( النافاهو )  
يعيشون فيها . كلها خال . كان يعرف هذا لأنه جاء هنا مراراً  
مع رفاقه . لكنها تعشى في ثقة كأنها تعرف ما تريد ..

من بين الأكواخ رأى ذلك الكوخ الذي يبدو بحال  
أفضل . باب الكوخ جهة الشرق كما هي العادة . دنا منه  
متوجساً ليرى ذلك الرجل الهندي يجلس في وضع الاحتباء  
لأمامه وقد أشعل بعض الأعشاب وراح ينفث بصوت خافت .  
وجواره كيس خيش مزركش ..

في الثلاثين من عمره . يلبس الجينز وحذاء رياضياً لكنه  
هندي بلا شك . هذه الملامح لا يمكن أن تخطئها العين .. إن  
البلدة تعج بهم وتعج بالمكسيكيين ، لكنه لم يتصور أن يجد  
لحدهم في هذا الكوخ . كان مدة عام قد اختفت بضغط زر

وقف والفتاة أمام الرجل بعض الوقت .. ويبدو أنه أحس  
بهما ، فقال دون أن يرفع عينه :

- « ( كاشينا ) .. عندك ( هوبى ) اسمها ( كاشينا ) . »  
ومد يده في الكيس ليخرج دمية ملونة زاهية . ثم دمية  
أخرى .. وهو يقول :

- « ( بولى سيو ) الفراشة . ( بولى مانا ) الفتاة  
الفراشة ( بولى تاكا ) . الرجل الفراشة . يعتقد الهوبى  
أن الله خلق الأطفال ، ثم أراد أن يسليهم ويسميههم قسوة  
للشيخوخة التي هم مقبلون عليها لا محالة . هكذا جمع لهم  
كل ألوان المروج والطبيعة الزاهية في الفراشة . ومنحها  
القدرة على الغناء بأجمل الأصوات .. شعرت البلايل بالفيرة  
ودعت الله كي يحرم الفراشة واحدة من هذه المزايا .. هكذا  
صارت الفراشة ساكنة لا تتكلم وإن احتفظت بألوانها »

نظر الفتى إلى الفتاة . ما معنى هذا الكلام ؟

عاد الرجل يقول بصوته الهندي الجاف :

- « عندنا نحن النافاهو أسطورة عن إله اسمه ( بيجوشيدى  
Begochildi ) يشبه الفراشة وكان يقود شعباً من الفرائش  
سافر بعيداً . وحينما عاد وجد أن شعبه ارتكب المعاصي  
ومارس لثماً ، لهذا لعنهم . وأصابهم بالجنون . ومنذ ذلك

للحين جن كل الفراش إنه يندفع نحو النار ليبحر .. ألم  
تسأل نفسك عن السبب ؟ لأن ( يجوشيدى ) غاضب . «  
ركع ( بيلى ) أمام الرجل وراح ينظر له من وراء الدخان  
المتصاعد من النار ..

قال له بصوت مبحوح :

- « هل تعرف حقيقة ما جرى ؟ »

- « ( يجوشيدى ) غاضب .. »

واضح أنه فى حال نفسية غير طبيعية به مذهب تملنا  
ويبدو أن الشعور بقرب النهاية جعله يتذكر أساطير الجود

أخيراً رفع الهدى عينيه عن الذهب ، وقال وهو ينظر للثنين :

- « خذ الحذر ابتعد عن المرأة لأن شعبه انغمس  
فى الخطيئة لعنهم ( يجوشيدى ) الفراشة صارت  
خرمساء .. الفراشة صارت خرمساء .. »

قالت الفتاة وهى تمسك بيد ( بيلى ) :

- « اعتقد انه مجنون لقد مس الخوف عقله فأحرق

أى عقل .. »

- « أنا أيضاً أعتقد هذا .. »

وبعد الشبان بين الأكواخ المهجورة ، بينما صوت الهندي  
يلحقهم وهو يترنم بلغته الغامضة ثم بالإنجليزية .

- « ( بولى سيو ) افراشة ( بولى مانا ) . الفتاة  
افراشة ( بولى تك ) . للرجل الفراشة . « ( يجوشيدى )  
غاضب .. »

أخيراً صاروا يمشيان وسط مساحة خالية

إن ( بيلى ) يفكر ما حدث هذه الرحلة بين الأكواخ فن ؟  
واضح أنها لم تتوقع وجود هذا الهندي فماذا كانت تريد ؟

هو الهندي يعرف شيئا " الثقافة الأمريكية التقليدية  
تفترض حكمة غير طبيعية لدى هؤلاء القوم . إنهم  
صموتون لانهم يعرفون كل شيء . فهل كلمات الهندي تدل  
على الجنون أم على حكمة بالغة ؟

توقفت ( ساندرا ) فى الظلام ، وقالت .

- « ( بيلى ) .. أنا خائفة .. »

والحقها تسحره بشكل ما ..

( كانت تنظر للسماء . وتضم كفيها معاً أمامها . خطر  
له أنها تصلى ولكن لا هذا المنظر يبدو مألوفاً ..  
رآه من قبل ولكن أين ؟ )

قالت وهي تدنو منه :

« لريد أن أشعر بقربك . إن هذا يمنحني الأمان أكثر .. »

هل هو يحلم ؟ اللحظة التي حلم بها دهوراً تتحقق  
الآن ربما تصور أن يمسك القمر ويقضم منه قطعة  
أو يلعب البيزبول ببرج إيفل لكنه لم يتصور قط أن ..

تدنو منه . تمسك بيده يجلسان على الأرض في  
الظلام . يغمض عينه . إنها قريبة جداً قريبة جداً ..  
فلتحملني يا بساط الأحلام لأعلى . لأعلى . إنني خفيف  
الوزن .. إنني أخلق ..

ثم أدرك أن هناك شيئاً خطأ . إنها قوية جداً .. أقوى  
بالتأكيد من قدرات فتاة مراهقة بحيلة . إنها تثبته على  
الأرض كأن عملاقاً يدوس عليه بقدمه .. لم يدرك هذا  
الآن حينما حاول أن يتملص . قل هذا بثانية كان ممسكاً  
فكانت رقيقة هشة

وفي اللحظة التالية أدرك أن ( ساندرا ) غريبة المنظر  
جداً . أنها تنظر للسماء وتفتح فمها .. إن رأسها يتلوى  
في اتجاهات غريبة . ( هارلسون ) لم يكن وحيداً عندما  
مات . لم يكن وحيداً عندما انتزع أحدهم عنقه ورأسه  
وأعلى صدره ( ساندرا ) كانت هناك

وهي الآن معه ..

« إنها الحشرة الوحيدة القادرة على أن تبصر ما وراء  
كتفها . وأن تمسح وجهها بيديها كالقط . وتأكل من يدك  
كالكلب .. وتشرب الماء كالخيول ! »

كانت يده تعبت في جيبه ..

بسرعة .. قبل أن ..

وخرجت يده بالمسدس الثقيل المرعب الذي كان ضمن حليجات  
أبيه . المسدس الذي أحضره معه على سبيل الاحتياط

صوبه بيد واحدة إلى الرأس المخيف الذي يتلوى فوقه  
والذي يتجه إلى عنقه . يده ترتجف .. لا وقت لهذا

ضغط الزناد .. و ...

بوم !!



## -5-

الصوت يتعالى أكثر فأكثر ..

كان هناك صوت طبقات جاء من الخارج . ربما من جهة المستنقعات هذه هي المرة الثانية ثلاث ساعات تفصل بين امرتين يبدو أن هناك حربا تدور بالخارج فى هذه اللحظة ..

ثم بعد قليل سمعت طلقة واحدة من مسلسل .

هناك الكثير من المرح يتطرا بالحرج . حفل حقيقى يشبه افراح الأرياف لن أدهش لو كانت الأفراس ترقص أفراس النهر . تصم أكفها وتطر للسماء وتلتهم حشراتنا

كنت أنا فى غاية القلق ، وقد قمت بجولة أو اثنين فى المنطقة التى انتظر فيها كنت لنفسى إنه إذا كان ( هارى ) و ( شوارتر ) قررا الاستكشاف الرأسى فراقم أنا بالاستكشاف الأفقى ..

هكذا أخذت خودة مضيفة وبحثت حتى عرفت كيف أشغلها ، ثم رحت أجول فى المنطقة محاذرا مشيت وراء

أحد تلك الخراطيم العملاقة . وبعد قليل من الزحف المتعثر والاصطدام بصخور والسقوط فوق صخور وجدت تلك الكومة من الصخور ..

وقعت ألهمت مسرورا باكتشافى العظيم كومة صخور وسط الصخور ! أنا عبقرى حقاً ..

لكن هذه الكومة كانت تبدو لى عظمة الشان كومة صخور ذات شخصية واضحة ترتفع إلى السقف وبدأ واضح أنها وضعت هنا لغرض عقرى .

تلك التريحة " مع الاعتذار للأديب ( صنع الله إبراهيم ) ..

رفعت صخرة من تلك يبلغ حجمها حجم رأسى وألقيت بها بعيدا كانت مبتلة وعلى ضوء الكشف الواهن استطعت أن أدرك أنها كان تدارى يد حنة

كنت دوما أرى أن الحدث معنة . فى أفلام الرعب يضعون الكثير منها كى يضعنوا أن يرتجف المشاهد وكنت أشعر أن هذه محاولات طفولية رخيصة ، دعك من أننى طبيب رأى الكثير من الموت لكن هذه اليد بالذات أفرعتى لأنها

كانت متحورة لشيء آخر . هناك شعيرات وممصات ..  
إنها يد تنتمي لهم .. لهم لا عليهم ..

أزحت صخرة أخرى فوجدت قدما لا تنتمي لهذه اليد ..  
هناك جثث على الأقل .

ما معنى هذا ؟ هناك من مات منهم وهذا قبرهم ..  
ليس الامر عدينا بالنسبة لمن يعرف أى شيء عن  
الحشرات . فهي تتكاثر بإفراط وتموت بإفراط ولو تركت  
ذبتين وشأتهما لتغطت الأرض بطبقة سمكها متران من  
ذريتهما دعك من أن الحشرات تأكل بعضها طيلة  
الوقت

لكن ليس بهذه السرعة ..

هل الوباء ينزاح ؟ هل بدأ الكابوس وانتهى بذات  
السرعة ؟ لا أصدق هذا ..

فجأة بدأ المنجم يرتج ..

★ ★ ★

ارتفع المصعد ..

وتنهدت الصعداء .. لقد انتظرت كثيرا جدا حتى قدرت  
لنهما أن يعودا أبدا وقررت أن أعود وحدي للبلدة .. لكن  
ماذا سأفعله هناك ؟ من أطلب عونه وكيف ؟ ثلاث ساعات  
في هذا المكان ليست بالفترة القصيرة جدا حتى تخيلت  
أن لى لحية بيضاء تقضى على الأرض

في ضوء المصابيح الخافت رأيت الالهة المعقدة العتيقة  
للمصعد تلهث منذرة بالمسقوط ثم بدأ القفص الحديدى  
يظهر لعيني .. لو كان هذا فيلم رعب رديء لرأيت فى  
المصعد شيئا آخر لا يمت لصديقى بصلة .

لكنى أخيرا رأيت الرجلين . كانا مرهقين مترهين  
مبتئين .. لكنهما على الأقل لا ينزفان لحسن الحظ .. وعلى  
الأرجح لم يتحولا إلى صرصورين .

وفتح ( شوارتز ) الباب ثم ارتقى على الأرض .. ومن  
خلفه جاء ( هارى ) . وسقط الرجلان على ظهريهما  
يلهثان وبمعلان ..

قلت في دهشة :

- « ثلاث أو أربع ساعات حسبت أمركما قد انتهى ' »

سئل ( هاري ) وبصق ثانياً ، وقال :

- « تقريباً ' بن م يجرى فى أعماق المنجم لشيء مريع ..  
شيء اكبر من توقعاتنا لا حل لهذه البلدة إلا قصفها  
بالقنابل من الجوا ' »

★ ★ ★

الطلقات من جديد ..

نطفى الخوذات ونزحف إلى خارج المنجم لنظر من عل  
إلى ما يجرى نحن الآن فوق الجسر . من تحتنا نرى  
تلك المساحة الحالية التى تذكرك بأفلام الغرب الأمريكى  
مدثرة بالظلام لكن ضوء القمر م زال كافياً .

كان رجال ( فينكس ) هناك . وكانوا فى مأزق حقيقى ..

أرى الآن أنهم هناك فى الساحة بعضهم على الأرض  
والبعض يتوارى خلف الصبار أو خلف الصخور .. أشباح  
مذعورة فى الظلام ..

هناك أشياء تهاجمهم . أشياء تمشى فى ثقة وتركض  
هنا وهناك .. تبدو تارة كرجال وتبدو تارة أخرى كحيوانات  
زاحفة . برغم صعوبة الرؤية يسهل أن ترى أن بعض  
هؤلاء الرجال لهم رءوس عملاقة رءوس بحجم الصخرة  
بلا أية مبالغة .. وهم يقومون بالجزء الأكبر من الهجوم  
ينقض بعضهم على الرجال فلا تعرف ما يدور عملية  
لتحام جسدى كاملة لكنها تنتهى بحثة لا تعرف حدودها  
للخارجية .. جثة الرجل طبعاً ..

بعض الرجال يحاول أن يطلق الرصاص من بندقية .  
بالتفعل يتساقط عدد لا بأس به من المهاجمين بسر الحيم ،  
لكنهم لا يقتطون . مهما سقط منهم يواصلون الهجوم كما  
يفعل الـ ...

كما يفعل النمل !!!

إن تلك الأشياء المهاجمة ترحف .. والآن صارت الصورة  
تمثل مات منها تتقدم لتكتسح كل شيء ..

عشرون رجلاً مسلحاً من ( فينكس ) أصف لهذا عشرة  
مفوضين .. لكن هذا كله تحول إلى مذبحه . يشبه الأمر ما يتبقى  
من مستعمرة نمل وظلتها بحدائك .. فقط انعكست الآية هنا

صوت القضمات يصيحك بالعثيان .. تشومب .. تشومب !

تشومب .. تشومب !

تشومب .. تشومب !

لا أظن أن أحدهم تمكن من عمل شيء .. إن الكثرة تغلب الشجاعة .. ولربما استطاع الرجل قبل موته أن يقتل عشرة منها لكن ما جدوى ذلك ؟

همس ( شوارتز ) وهو يرتجف :

- « جيش من النمل المحارب ' هذا واضح ' »

ثم أرفف :

- « بالإضافة لحمض الفورميك . هناك تأثير الفكوك العملاقة لو صارت السمعة المحاربة بحجم الإنسان لصار رأسها بحجم جوال البطاطس ، وصارت المسافة بين فكّيها ستة أقدام ( مائة وثمانين سنتيمتراً ) »

وارتجفت معنى هذا أنها قادرة على قضم إنسان إلى شطرين

هذا هو ما يحدث فعلاً وإن كنت لا نراه بوضوح ..

هذا هو سر انطلاقات إنن . كانت بدايات العيث ثم انهمر السيل ..

قال ( شوارتز ) :

- « عندما يزحف النمل المحارب في إفريقيا يبلغ طول الطابور ميلاً . يترك السكان أكوامهم ويفرون إلى أقرب حليز مائي .. وعندما يعودون للأكوام يجدونها وقد تم تنظيفها بالمعنى الحرفي للكلمة »

كانت هناك أشياء لا أميزها تحوم في الهواء . إن الظلام دلمس لكنها تنقصر وترتفع من جديد . ولانقضاءها أزيز مميز . أزيز مألوف تسمعه أنت الآن لو كنت تقرأ هذا للكتيب في ليلة صيف حارة . شأن ما بين أزيز وأزيز لكن المبدأ واحد !

تساعت في رعب من كنه هذا ..

قال ( هاري ) وهو يزحف متراجعا :

- « بعوض على الأرجح ' هذا الجيش لا يفكر للقوات الجوية ' أرى أن علينا أن نفر من هنا فقد صرنا هدفاً سهلاً ! »

- « قلند إلى المنجم .. »

- « لا !! كل شيء إلا المنجم وسوف نخبرك بالسبب ' »

★ ★ ★



## -6-

« جوني . أمسك بالقوس واعزف كماتك جيداً .

إن الجحيم قد تفجر في ( جورجيا ) والشيطان يسوزع أوراق اللعب ..

فلو فزت لربحت هذا الكمان الجميل المصنوع من الذهب ..

ولو خسرت لظفر الشيطان بروحك ! »

★ ★ ★

شعور ممض بقرب النهاية ..

نعم على الأرجح هي النهاية سنموت جميعاً لا شك في هذا فقط كنت أتمنى ميّة أكثر وقاراً . لن يفخر أبداً أختي عندما يحكون كيف ان عمهم قتلته نملة

نمشي وسط الأخاديد . نتعثر وننتهص . ليس بوسع قلبي تحمل أكثر من هذا . لو لم تأكلني السراخيف لانتهمتني اليعسبيب أو الدعاسيق ظريفة مملكة الحشرات هذه . أسماء جميلة جداً ..

الظلام دامس بحق برغم وجود القمر هذه الأخاديد مليئة بالظلال الحادة .. يبدو أننا نسئنا أن ننزع الخودات هل نضينها ؟ هذا قرار خطر لأن كل الحشرات تعشق النور وتجده ببراعة غير عادية .

المشكلة هي أن هذه الأخاديد متاهة حقيقية . سوف نضل الطريق .. لا شك في هذا ..

فجأة اصطدمنا بشيء في الظلام وحدث التحام سريع لا أعرف هل ضربناه فأوقفناه أرضاً أم العكس .. المهم أننا وجدنا أننا على الأرض نمسك بقدميه وهو يركل كالثور البري ..

كان هذا هو ( بيلي ) . الفتى المراهق ذي العوينات والنمش . لقد فقد كل شيء لكنه احتفظ بالنمش فقد عوينته وعقله على الأرجح ..

« اتركوني ! لن أتكلم !! »

ثم بدأ يصرخ .. لكره الأغبياء الذين يسمحون لهستيريتهم بأن تؤذي الآخرين . هذا لسوا وقت ممكن للصراخ سوف تجلب علينا كل هذه المسوخ يا أحمق

هكذا توكلت على الله وسددت له صفة أنت كفى  
كثيراً

نظر لى بذهول للحظة ثم انفجر فى البكاء كطفل .

- « هم نحن مثلك بشريون وصانعون .. وفى ملى  
بالع سوء !! »

بدأ يهدأ نوعاً ثم استطاع أخيراً أن يحكى لنا كل  
شئ ( ساندرا ) كان تريد قضم رأسه . المأمور  
مات وجده فى خندق وقد اخترقته الطلقات لكن من حوله  
يرقات ميتة هناك هدى مجنون . الاجتماعات الليلية  
المشهد المرعب الذى رآه هو و ( ساندرا ) و ( هارلسون )  
و ( جيمى ) الرجال الذين يعاقبونهم من أقدامهم ويتجه كل  
واحد من تلك الجماعة ليمنص شيئاً من بطونهم عبر ثقب  
صغير ..

صحت فى هلع :

- « ماذا ؟ هل جننت ؟ »

ثم وجدت أن كل شئ ممكن الآن هذا كابوس  
ولا منطق للكوابيس ..

قال ( شوارتز ) فى هدوء بلهجة من لم يندهش من هذا :

- « ( كريس ) قلت هذا للقس إنه موجود فى فكرته »

ورأى الأشمزاز على وجوهنا ، فقال :

- « بالنسبة للبشر هذا سلوك بشع .. بالنسبة للنمل هذا  
طبيعى جداً . بعض أنواع الشغالة تحتزن الرحيق فى  
بطونها وتتحول إلى براميل حية . تعلق نفسها طيلة الوقت  
فى سقف العش ، بينما تمر كل الشعالات الأخرى لتأخذ منها  
جرعة . وعندما تفرغ يملئونها ثانية »

قال ( هارى ) :

- « أى إنها تحول نفسها إلى ماكينة مشروبات »

- « بالضبط لاحظ أننى أتكلم عن النمل ولم أحلظ بينه  
والنحل .. »

قال القس الذى فقد صوابه من الذعر .

- « رحت أجرى خاتفاً وتواريت بين أغصان شجرة .  
ورحت أنظر من بينها بحثاً عن خطر قريب . هنا فوجئت  
بهذه الأغصان تتحرك . كان هذا رجلاً شديد التحول اندس

بين الأعصان بحيث صار من المستحيل أن تميزه إلا إذا تحرك أو شكت على الصراخ فانتطق مسائل حارق على وجهي . لولا العوينات لأصابني بالعمى . لكنني رحت أخرى وأصرخ وتحلصت من العوينات الملوثة . فذلك المسائل بدأ يسيل على وجهي ويحرقه . أصابني الذعر لأنني لم أعد أرى تقريبا وكان هذا حينما اصطدمت بكم .

عدنا ننظر إلى خبير الحشرات فقال في مثل :

- « هذا نوع من العصي الرحالة لكن هذه الحشرة موجودة في الأريزونا من قبل هذا الكبوس اسمها ( فرسة السمك ) . إنها تدافع عن نفسها بإطلاق هذا السائل في هرون الطيور »

تشومب تشومب

سمعنا الصوت المميز الذي اعتدناه . صوت القضم

تشومب .. تشومب

تشومب تشومب

تشومب تشومب

قال ( هاري ) وهو ينهض :

« الرجال النمل . إنهم قرييون .. يجب أن نلزم .. »

قال ( شوارتر ) :

- « أين ؟ إنهم يصلون لكل شيء . سوف يجدوننا في أي مكان . »

تشومب .. تشومب

تشومب .. تشومب

قلت أنا في غيظ :

- « أنت قلت بنفسك أن الأهالي يهربون خلف مجرى مائي سوف نفترض أن هذه الحشرات تتصرف حرفيًا كحشرات الأصلية . يجب أن نجد ماء »

★ ★ ★

أين أنت ؟ أين أنت ؟

ليس من العدل أن تتخلي عني بعدما طلبت اللقاء في أسوأ بقاع الأرض ..

★ ★ ★

ومشينا وسط المياه ..

مياه باردة تصل لخصرك لكنها ليست أبرد من جثتك  
على كل حال ..

يبدو أن هذا النهر واحد من تلك الأخاديد التي جفت  
فصارت مخالب الشيطان لكن هذا النهر الراكد سوف  
يحرى إلى أن يصب في نهر ( حيل ) الذي يصب بدوره في  
( كوبرادو ) اعتقد أنه بالفعل يصلح حاجزاً يبعد النمل  
ع

السكون والهدوء لا شيء إلا هذه الأغصان الطافية ،  
وقد خطر لي أن هذا هو المقرب المعتاد . وسألت الفتى :  
- « هل أنت متأكد من أن هذه ليست تماسيح ؟ لم أعد  
أبني بجنوح الأشجار الطافية هذه »

- « لا توجد تماسيح في ولايتنا يا سيدى . »

قالها باشمزاز كأنه أمين ..

السكون وضوء القمر والماء البارد . كل هذا يفريك  
بالنوم لكن هيهات ..

سألت ( شوارتز ) بصوت هامس كى لا أتلّف هذا  
السكون :

- « الآن يمكن أن أفهم ما رأيتم فى ذلك المنجم »

قال وهو يتهدد :

- « هى قصة طويلة .. »

★ ★ ★

قال ( شوارتز ) :

- « لقد نزلنا بالمصعد عدة طوابق . لكننا لم نجد ما  
يبدل على وجود عمل بالمنجم .. أنا متأكد من أنه ليس  
مehجوراً . لسبب ما تم إخلأؤه . فى النهاية لاستقر المصعد  
عند آخر مدى له . الهواء ثقيل مسمم لكن هناك جهاز  
تهوية يؤدي عمله نوعاً ..

« كان المكان خالياً لكننا شعرنا بأن هناك وجوداً ما .  
هكذا مشينا بحذر .. مشينا بضع دقائق حتى وجدنا أنفسنا  
فى مكان متسع .. عندها حبسنا أنفاسنا وأطفأنا الكشافات ،  
لأن كل هؤلاء القوم كانوا هناك . الرجال والنساء الذين



كانوا يلتقون أمام المنجم هم الآن تحت الأرض بخمسين  
متراً كانت هناك نار مشتعلة ولا أعرف كيف لم يختنقوا  
لم أعرف أنه من الممكن إشعال النار في المناجم . لكنهم  
كانوا يقفون حولها وينشدون متشبهى الأيدى . كلمات  
الاعية بإسبانية عندها بدأت أفهم

« فى الوسط كان يقف من هو أشبه بكاهن تحيط به  
الحشرات الطائرة . الكثير من الذباب رجل فارغ القامة  
يلبس الأسود مع غطاء رأس لا تراه إلا لدى ( الأرتك  
Aztec ) .. »

ارتجفت وقد شعرت بأن هذا كله مألوف لى

أسود

أرتك

ذباب

ملك الذباب ( رى دى موسكاس ) لقد شهدت عوبته  
لعالمنا المكسيك يقع على مرمى حجر من هنا . ( أريزونا )  
مكسيكية أكثر منها أمريكية هل هذه مصادفة ؟

نكن القصة مترابطة نوعاً الآن . ما يحدث هنا هو  
لعنة .. ومن يمكن أن يجلب لللعنة ؟

عاد ( شولتر ) يقول :

- « إن كل ما جرى هنا هو إعداد ليرقة .. »

- « يرقة ؟ »

- « نعم يرقة . يرقة يبلغ حجمها حجم الحافلة ..  
إنها هناك فى مركز الدائرة وقد رأيناها . حالي هي لا تفعل  
أى شيء لكنهم يقدونها ويرعونها وينتظرون تحورها  
ليخرج منها .. »

- « من ؟ إبليس ؟ »

- « بل ( خوتشيكويتزال Nochuquetzal ) .. آلهة الحشرات  
عند الأرتك ! »

قلت فى لشعنزل :

- « لن نعود لهذا الهراء اللوثى .. »

قال فى صبر :

- « نعم أنا أتفق معك . ( خوتشيكويتزال ) لا وجود لها . لكننا أمام حقائق مادية هي وجود يرقة عملاقة في مرحلة تحول . ووجود رجال لم يعودوا كذلك . هذا لا يبرهن عن وجود أنهاة حشرات لكنه بلا شك يدل على أننا في مأزق مخيف غير معتاد . »

ساد الصمت لا شيء في الهواء .. حتى صوت الطبول الذي لم تمر دقيقة من دون أن نسمعه قد صمت .

قلت له :

- « ليكن هذا هو السبب الذي تحول من أجله المنجم إلى خراب .. »

- « أعقد أن العدوى بدأت بعمل المنجم . لكن دعني ألكى منذ البداية . »

نظرت إلى حالنا المزرى ستكون هذه أول محاضرة أسمعها وأنا نصف غائص في الماء لكن تفضل يا سيدي . أظربنا ..

قال العالم :

- « لقد كانت الحشرات تفنن البشر منذ قديم الزمن .. خاصة فكرة التحول . إنها ترمز للخلود في كل الثقافات القديمة أنت مصري وتعرف أهمية الجعران scarab لدى المصريين القدماء كانوا يرون هذه الخنفسة تتحول وتغير شكلها . ثم كانوا يرونها تخرج كتلة من الفصلات نحو الشرق مما جعلهم يعتقدون أنها هي التي تقود ( رع ) أي قرص الشمس ثم لاحظوا أن اليرقات تظهر حول المومياوات بكثرة . بعد هذا يطير الذباب مبتعداً قبل أن تنفث المومياة .. لهذا ربطوا بين الذباب والروح .. ولهذا كانوا يضعون حلياً تشبه الذباب في القبور وحول عنق المومياة كأنها وسيلة لتمهل عودة روحه له . في ثقافة قدماء المصريين كان السحاط يرمز إلى الجنود والنحل يرمز إلى الدلتا ..

« للصييون كانوا مفتونين بالسيكدا أو جرادة السبعة عشر علماً يرونها رمزاً حقيقياً للتحدد إن خروجها للحياة يشبه الخروج من القبر وقد نقلوا هذا الافتتان للهندوس

« إن كل الحضارات القديمة قد اهتمت بالحشرات . تذكر الرجال العقارب في ثقافة البابليين عند قبائل البوشمان يعتبرون فرس النبي إلهاً اسمه ( كاجن ) .

« في التوراة تجد أن ثلاثة من أوبنة مصر القديمة كانت من الحشرات . لست ملماً بالقرآن لكن أعتقد أن الحشرات لها أهمية خاصة فيه .. »

لم أعلق حتى لا أقطعه لكن الحشرات ذكرت في القرآن الكريم مراراً العمل . النحل . الذباب . بل إنها وجدت طريقها إلى أسماء السور . الذباب ذكر كتحذير للكفار . النحل ذكر كمعجزة دائمة . هناك أكثر من قصة قرآنية عن النمل ..

واصل ( شوارتز ) الكلام :

- « أنت طبيب . فهل تعرف من أين جاءت لفظة Medicine ؟ »

- « ليست لدى أدنى فكرة »

- « جاءت من لفظة Mead وهو مشروب نو خواص علاجية يستخلص من عسل النحل .. الهنود الحمر كانوا يعتقدون أن الفراش يجلب الأحلام .. بالذات قبائل القدم السوداء كانوا يعتقدون هذا وكانوا يرسمون الفراش على حيامهم على شكل يذكرنا بصليب مالطة . لكن رأيي

الخاص أنه ما من حضارة اهتمت بالحشرات للدرجة التي اهتم بها الأرتك ومن بعدهم المكسيكيون .. إله الأرتك الأكثر أهمية بالنسبة لهم ( كويتزالكوتل Quetzalcoatl ) يدخل العالم على شكل يرقة ومنها يخرج على شكل دودة أو أفعى . ثم يكن يحمل الزهور إلا الأرتك من ذوى المكاة العالية . وفي حضارتهم كان من سوء الأدب أن تشم باقة الزهور من أعلاها إنما يجب أن تشمها من جانبها . السبب هو أن النحل والفراش أرواح .. وهي تفضل أن تشم قمة باقة الزهور ..

« حتى اليوم يعتقد المكسيكيون أن النحل يولد من الحثث . وهو خلط بين النحل وذبابة الفرس على كل حال . والآن لاحظ أن هذه الولاية شبه مكسيكية من ناحية الثقافة على الأقل . منذ جاءها ( ماركوس دي نيزا Marcos de Niza ) وهو أول أوروبي يطأها بقدمه في القرن السادس عشر .. لقد جاءها من ناحية المكسيك »

ساد الصمت .. ثم عدت أسأله :

- « لماذا تحكى هذا كله ؟ »

« لأقول إن القصة جاءت عبر الحدود من المكسيك .  
 هذا الرجل الغريب الذي رأيته في أعماق المنجم جاء ينشر  
 سحره في البلدة كلها . وجمع حوله جماعة من الناس  
 مهم أن يوفروا السينة الصالحة لتلك البرقة التي يعتقدون  
 أنها ( خوتشيكويتزال ) وفي الوقت ذاته استطاع بسحره  
 الذي تعلمه من أجيال من الأتراك أن يحيل أهل البلدة الذين  
 حضروا طقوسه إلى أطلس حقيقي لعلم الحشرات . سوف  
 تجد كل شيء هنا الذباب الخنافس . الدبابير النحل ..  
 النمل العصي الرحالة ذبابة مايو أي شيء . عندما  
 ينهض الاخ ( خوتشيكويتزال ) سيجد أن الحشرات سيطرت  
 على العالم وأن الزمن زمنه »

هنا نساء ( هاري ) :

« لماذا لم نلق علكب ؟ »

كان هذا أسوأ ما يقال . ألعن شيء في العالم هو  
 السؤال العبي الذي تمت الإجابة عليه من قبل . بالذات في  
 الفصل الأول من الجزء الثالث . لهذا لم يكن أحدنا نفسه  
 غناء لرد ..

الآن جاء السؤال المهم بحق :

« ماذا نفعل ؟ »

في هذه اللحظة همس ( هاري ) مذعورا :

« هل أرى ما أراه أم إنها الباراثويا ؟ »

نظرنا إلى حيث أشار فلم نر شيئا ..

لا . بل هناك شيء . تلك الأعصان التي تطفو على  
 المسطح إنها تتحرك . إن شيئا يخرج منها ويحاول أن  
 يحرر جناحيه . لو دقت النظر لأدركت أن هذه الأشياء هي  
 أقرب لبشر كانوا تحت الماء فلا يبرز منهم إلا جزء  
 بسيط ..

إنها حوريات بعوض !!

★ ★ ★



## -7-

عشرات من هذه الأشياء تصرب الماء محدثة دوامة ثم  
تتحرر وتحلق في الظلام فوق رؤوسنا ..

البعوض قد وضع بيضه في هذا الماء الراكد . وفقس  
البيض لتبدأ دورة الحياة الرهيبة . الآن يخرج الصغار  
محتفين جاعين يفتشون عن أول وجبة من الدماء !

كنت على حق عندما فكرت في التماسيح التي تبدو  
كجذوع أشجار . وإن كان الأمر يختلف هنا .

دورات الحياة تتم هنا بسرعة فائقة . والمشهد كابوس  
حقيقي . في الأساطير الإغريقية كان ( الهاربي Harpy ) .  
تلك المخلوقات التي تبدو كبشر لكنها مجنحة .. أنا لا أرى  
المشهد جيد لكن هذا هو الإحياء العام له

إنها ترتفع . ومعها توشك قلوبنا على الإفلات .

كدما نخرج من الماء ، لكن ( شوارتز ) قال في حزم .

« بقوا حيث أنتم ! حاولوا أن تبقىوا أكثر جزء من الأحصنة

تحت الماء . إنها تبحث عن الراحة البشرية والحرارة .. »

كان هذا منطقيا .. وركعت على ركبتى في الماء الضحل  
بحيث لم يبق منى فوقه إلا رأسى . وكذا فعل الآخرون .  
وبعد قليل بدأت تلك الأسراب تبتعد ..

« الآن نخرج .. »

وببطء رحنا نتقدم إلى الضفة متوقعين كارثة أخرى .  
فقط من حين لآخر تدوى طلقة تعنى بلا شك أن أحد رجال  
( فينكس ) يدافع عن نفسه ..

على الضفة جلسنا منهكين .. لولا هذا الصيف الهندي  
لأصبت بالتهاب رئوي ..

عدت لأكرر سؤالى وأنا ألهق وأسعل :

« ماذا نفعل الآن ؟ »

قال ( هارى ) وهو يجفف شعره المبلل الذى غطى وجهه :

« . . أمور ستتحسن بلا شك . سوف يعرفون فى

( فينكس ) وسوف تصل قوات الجيش . هذه المرة سوف  
يكون تدخلهم حاسما . بالفعل لا أستبعد أن يقوموا باستخدام  
الطيران لكى البلدة .. »

ثم أضاف باسمًا :

- « أو ربما استعملوا المبيدات الحشرية ؟ »

قال ( شولتر ) :

- « هذا سيحدث لا محالة لكن حتى ذلك الحين سوف

ينتهى امرنا . دعك من انهم لن يفرقوا بيننا والآخرين . »

وشعرت بقشعريرة في فيم ( ليلة الموتى الأحياء ) -

تحفة ( رومرو Romero ) الكلاسيكية - ظل رجل واحد حيًا

بعد ما رآه من أهوال ، إلا أنه في الصباح كان مرهقًا متربًا

مشعثًا وسرعان ما أطلق عليه رجال الإنقاذ النار لأن

منظره لم يختلف عن منظر الزومبي ..

« الحل في المنجم .. »

راحت الإجابة تتردد في ذهني ..

إنن نحن نضيع وقتنا هنا ..

« الحل في المنجم .. »

« لماذا مات من مات ؟ »

« فكر كثيرًا .. »

« على باب الجحيم تجد المطهر .. »

هذه هي الإجابة .. إنها ترسلها لي قالت إنها لن

تساعدني . لكنها قادرة على التمتع

فكت لهم بثقة :

- « سوف نعود للمنجم إن الحل هناك . »

قال ( هاري ) في شك :

- « لا أعرف من أين تأتي بهذا التفاؤل يا صاحبي ؟ »

المنجم صار بالكامل محتلاً بتلك الكائنات وهناك تلك

البرقة القذرة . إن العودة هناك خطر داهم .. »

- « أنا مصر .. لو أردت ألا تتبعني فهذا شأنك »

ونهضت في إصرار هكذا نهض الجميع معي .. لا أحد

يستهي الوحدة الآن .. فرصة نجاة الرجل الوحيد معدومة

في عالم يعج بالبعوض والصراصير والذباب والزبابير

والنحل والخنافس القاتلة ..

★ ★ ★

كانت تقف على باب المنجم مسرلة بالظلام .. على  
بعد أمتار منها أسفل الجسر بقايا المذبحة التي قام بها  
التمل ، ولا بد أنه مشغول بنقل كل هذا الطعام إلى عشه ..

لم نتيين وجهها أولاً وتحفرنا . ثم دنونا أكثر فوجدنا  
أنها ( باتريشيا ) ساقية الكافيريا الحسنة ..

- « ( باتي ) !! »

قلها ( هاري ) وهو يركض نحوها ..

صحت وأنا أشده بعيداً :

- « ما زلت أحمق خذ الحذر . أولاً كيف عرفت أننا  
هنا ؟ ثانياً كيف جاءت ؟ »

صرخ ( بيلي ) في رعب :

- « كل النساء حطرات يا سيدى . إنهن يتحولن إلى  
مراعياف ! »

في برود ظلت تصغى إلى ما يقول ، ثم قالت :

- « هل انتهيت ؟ هل لى أن أتكلم ؟ »

روايات مصرية للجيب ما وراء الطبيعة ٢٧٩

- « تكلمى . لكن لتكن أعارك مقنعة .. »

قالت وهي تجيل نظرها في وجوهنا :

- « منذ البداية عرفت أنكم ذاهبون إلى المنجم .. كل هذا  
الهراء الصبباني الذي قمتم به لم يخدعنى . سمعت أكثر  
كلامكم وسمعت ما يقول الناس .. هذا يجعل الأمور  
واضحة . ثانياً لم أستطع البقاء وحدى فى الموتيل إلى أن  
يتسلل شيء عملاق يلتهمنى . إن البلدة قد تحولت إلى  
جحيم . كنت بحاجة إلى صحبة أشخاص لم يتغيروا .  
وهكذا خاطرت بهذه الرحلة المرعبة إلى هنا ليس الأمر  
صعباً إلى هذا الحد والدليل أنكم بدوركم ما زلتُم أحياء .. »  
رحت أتأملها . تبدو لى طبيعية فعلاً .. جميلة باردة  
سمجة .

ربما كان صانقة .. من يدري ؟

همست فى أذن الفتى ( بيلي ) :

- « أنت تملك مسدساً .. راقبها لو رأيت ما يريب فتطلق  
الرصاص حالاً وبلا مناقشة »

هز رأسه في توتر . وابتلع ريقه . لكنى كنت أعرف أنه سيفعل . انفلات اعصابه سيجعله يطلق النار بلا تردد .. المهم ألا يفعل ذلك لأنها هرشت أنفها مثلاً .

في ظلام المحرم وإصاعته الحافطة وقفنا . كنت أفكر .

واتجهت في تودة إلى كومة الصخور التي رأيتها من قبل ومددت يدي أحرر تلك الذراع التي وجدتتها . الذراع المتحورة التي كانت تحص حشرة من تلك

« للحل في المنجم .. »

« لماذا مات من مات ؟ »

هتف ( هاري ) في رعب :

« هل هناك مقبرة هنا ؟ »

« مقبرة نعم . لكنها تخص هؤلاء المتحولين . »

« ولماذا ماتوا ؟ »

« هذا هو السؤال الذي تستحق بجوابه ملايين الدولارات .. »

ثم فكرت من جديد . رحلت أذاعب صلعتي بعدما نزعيت الخوذة . لكنى لا يجد شعراً أفركه للأسف . كن هذا كفيلاً بأن

ينشط التفكير . « على باب الجحيم تجد المطهر . » ما معنى هذا ؟

قالت ( باتريشيا ) وهي تمسك بتلك الذراع الميتة :

« ربما اقتشر بينهم مرض ما ؟ »

ثم نظرت إلى ( شولرتز ) ، وقالت :

« هل تلك البكتريا المستعملة في التعدين تفك بهم ؟ »

هنا فقط وجدت الحل ! البكتريا تدعى ( أسيديانوس أنفرنوس ) .. المقطع الأخير معناه ( الجحيم ) باللاتينية وهو ذاته جحيم ( دانتي ) الشهير « على باب الجحيم تجد المطهر .. »

البكتريا هي الحل فعلاً . هذه المحلوقات التي هكت تلوثت بالبكتريا فلم تتحملها . من الواضح أن هذه البكتريا قاتلة بالنسبة لها بينما لا تؤثر في البشر على الإطلاق . ولهذا فإن مجتمعهم ويرقتهم في قاع المنجم بعيداً بالتأكد عن أى أثر لهذه الكائنات الدقيقة ، والدليل أن الخراطيم لا تغذى هذا الجزء على الإطلاق ..



« راح ينظر حوله ووقفت عينه على صهريج كبير تخرج منه مجموعة من الخراطيم العظيمة تتلوى أرضاً وتتجه إلى أعماق المنجم لا يمكن أبداً أن تعرف أين توجد نهيلتها .. »

« التفت حوذة ذات كشاف ، وأضاء هذا الأخير . ثم قال وهو يصوب النور إلى هذه الأشياء : »

« هل ترى هذا ؟ هذا المحلول يحوى البكتريا التي حكيت لك عنها . إنهم يفرقون المنجم به ثم يتركونه يتدغل بعد هذا يشفطون السائل وينزل الرجال للبحث عن النحاس الذي فصلته البكتريا .. »

★ ★ ★

صحت في الرجلين اللذين يقفان معي :

« هما ! سوف نوجه هذه الخراطيم لتعلا المكان الذي يحثله المصعد . إنها معدة لتندفق في موضع آخر . لكننا سنغير هذا وسوف نفتح هذه الخزانات ! »

قال ( شوارتز ) في استخفاف :

« هل ستغرق المنجم بالماء ؟ هذا لن يؤثر فيهم .. إن الحشرات أقدر الكائنات على التكيف هل حاولت مرة أن

تغرق صرصوراً في بالوعة الحمام ؟ هل سكبت بعض الماء على نملة ورأيت كيف تتحرر وتجف بعد دقائق ؟ »

قلت ولما ألتجه إلى الخراطيم :

« لا أتكلم عن الماء . أتكلم عن الجراثيم السابحة فيه .. هلما ! »

« ليس لديك دليل .. »

« لدى أكثر من دليل لكن لا تصيحا الوقت في الشرح .. »

وببطء بدأت الخراطيم العملاقة تتدلى في بئر المصعد كأفاع في الفراغ . وحاولت مراراً حتى استطعت تشغيل المضخات فتدفق الماء بعنف يهز المنجم هزاً . حمسة خراطيم تعمل بكل طاقتها لتفرغ الصهريج العملاق . شعرت بأن كل شيء يوشك على أن ينهار فوق رؤوسنا لذا وجدت أن الرحيل أفضل ..

المنجم كله يهتز .. ..

حان وقت الرحيل فوراً ..

والا غرقنا وهذا اول الخطرين لو خرجت تلك للمخوفات  
لتفتك بنا .. وهذا ثانيهما ..

★ ★ ★

كان نجاح الحطة بهرا . وتم يعرف هذا إلا في ضوء  
النهار

في البداية رأينا مستوى الماء يرتفع .. ثم بدأ يسيل من  
مدخل المعجم يتدفق من فوق الجمر إلى الأرض .

لم يخرج أى شيء حتى من الفتحة إما إنهم غرقوا  
وهذا عسير واما أن تأثير هذه الكثرية فعال حقاً فقط أنا  
أعرف يقيناً أن البرقة هتكت حيث هي لم تكن قادرة على  
الحركة أو المراوغة كانت بطة عملاقة جالسة لا أكثر .

وفي ضوء الصباح مشينا عبرنا منطقة الأخاديد فأنزل  
ذهولنا كل ما رأيناه من مشاهد للموت ..

على جاني الحفر يرقد الرجال الزسبير يتحسسون أعناقهم  
وهم يحاولون التهوض من حديد ومن حين لآخر يهوى  
رجل بعوصة ليسقط على بعد امتار من .. جثث الرجال  
العمل ملقاة هنا وهناك ..

تدعى ( هاري ) وهو يتفحص جثة مخيفة لامرأة نحلة  
رائدة إلى جانب الطريق :

- « ما سبب انتقال العدوى لهم بهذه السرعة ؟ هم لم  
يمصوا ذلك الماء »

قلت شارود الذهن :

- « نعمة احتمال أن التلوث كن عاماً . ومن الممكن أن هذه  
البكتريا تنقل بالهواء كذلك يبدو أنها صارت في كل ملليمتر  
من هواء البلدة الاحتمال الثاني هو أن صلتهم بذلك الساحر  
في المعجم انتهت لا بد أنه هناك من ثم هلكوا هم أيضاً »

عدد الطهيرة سيكون كل كائن حشري في هذه البلدة قد  
هلك ..

الخنافس تزحف في وهن مبتعدة بينما فتة فراشة  
تقف فوق صخرة وترتجف ثم تسقط

قال ( شولتر ) :

- « برغم أن هذا يعنى الخلاص فإني لا أحب ما أراه  
كل واحد من هؤلاء كان بشرياً مثلي ومثلك »

قلت في افتتاح :

- « معك تمامًا .. والأسوأ أن هناك جيلا جديداً نشأ وينقى  
حنقه الآن .. »

قال ( هارى ) وهو يضع يده على كتف ( باتريشيا ) :

- « لا بد لصنع الحلوى من كسر البيض .. »

ناديته من طرف خفى فابتعدت به بضع خطوات عن  
الباقين ، وقلت له :

- « ( هارى ) .. لا أريد أن أكون كغراب البين .. لكنى  
أنصحك بأن تترك هذه الفتاة هنا والآن .. إنها ليست كما  
تعتقد .. »

قال فى خيظ :

- « إما إنك عدت إلى البارانونيا ، وإما إنك تغار .. »

- « لا هذا ولا ذاك .. فقط أنا أنصحك بالابتعاد عنها .. وأنا  
أعرف جيداً ما أتكلم عنه .. لن أعطى تفاصيل أكثر .. »

كاد يتكلم فى انفعال عندما دوى صوت ميكانيكى عال  
يصم الأذان ..

بحثت عن مصدر الصوت فلم أجد ..

رفعت رأسى للسماء فرأيت طائرتين مروحيتين  
تقتربان ..

وكان عليهما شعار ( شرطة ولاية أريزونا ) ..

★ ★ ★

قلت لـ ( باتريشيا ) قبل أن أرحل :

- « برغم رأى السلبى السابق فيك فإن على أن أشكرك ..  
فلولاك ما كنا هنا .. وإننى لأعذر .. »

نظرت لى نظرة طويلة مدققة .. ولم تقل شيئاً ..

فقط ابتسمت ابتسامة سريعة مقتضبة من طراز ( الآن  
تراه - الآن لا تراه ) ثم ابتعدت فى ثبات ..

هنا فقط خطر لى لئنى كنت مغفلاً ..

لكن الوقت قد فات لأعلن هذا ..

★ ★ ★



## خاتمة

## عزيزتى :

من جديد لن أذكر أسماء .. الآن أعرف أن الساقية الحسنة ( باتريشيا ) مجرد صورة من صورك .. يجب أن أعترف أن الخدعة كانت كلمة ولم أشك فيك لحظة ، بل كنت أقرب إلى الارتياح فيك .. لقد وضعتك منذ البداية في معسكر المشتبه فيهم .. ولم أظن إلى أنك أعطيتى تلميحا صحيحا هو الذى قادنا إلى إبادة تلك الأشياء .. ولهذا جئت إلى المنجم وحدك .. لأن اللقاء يجب أن يتم ..

إذن كنت أنت منذ البداية .. أنت ( الكينونة ) ذاتها .. كنت معى تساعدينى لكنى لم أفهم إلا الآن .. فقط رأيت فيك برودا وسماجة نطراى منك ..

على أن هذا نموذج للفناء البشرى المعتاد ؛ فنحن لا نفصل بين الاستلطاف الشخصى والشك .. من لا نحبهم هم على الأرجح أوغاد وقحون وربما أشرار .. وأنا لم أحب ( باتريشيا ) قط ..

كنت تلك لغة حقيقية وكبوسا يصعب وصفه .. لكنه انتهى .. لم يجد رجال الشرطة الذين جاءوا بالمئات من ( فينكس )

عملا يقومون به .. فمن تحوروا ماتوا .. ومن بقوا أحياء تواروا فى ديارهم مذعورين ..

من المؤسف أن هذه البكتريا السحرية تذيب أحشاء تلك الكائنات ، مما جعل عملية التشريح عسيرة جدا .. دعك من أن عملية نزع المنجم سوف تستغرق وقتا .. سوف يجدون الكثير من النحاس وهذا قد يعرضهم عن مشاق استخراج الجثث ..

كنت أمل أن توضحى لى ما إذا كان ( راي دى موسكس ) هذا قد نجا .. لو كان كذلك فلسوف يعود وينشر المزيد من الرعب .. إنه من أكثر من قابلت من خصوم عنادا ..

السؤال الثانى هو سبب إصرارك على لقائنا هناك .. هل كان ينبغى أن أقوم أنا بهذا العمل ؟ كان يوسعك أن تلمحى لأحد للمكان ليقوم بما قمت به أنا ..

إن ذراعى اليسرى قد التأمت تماما .. وهذا يعطينى الفرصة لاستعمالها فى مراسلات قادمة .. فقط أرجو ألا تلمسينى ..

باخلاص :

رنعت إسماعيل

★ ★ ★



## عزيزى رفعت :

كان يجب أن تكون هناك .. هذا هو العدل بعينه .. أنت من جلب هذا الكابوس للعالم يوم أحرقت الموميا ، وعليك أن تكون موجوداً فى كل مرة يعود فيها .. يجب أن تنهى خطره بينيك ..

لهذا طلبت منك بالحاح أن نلتقى .. ولو لم تلت لكان لنتلقى رهيباً ..

أرسلت لك بعض التلميحات هناك مثل دخول المنجم وموضوع المطهر والجحيم .. إلخ .. لم أستطع أن أصرح بما هو أكثر واستعملت طريقة التلميح .. لكنك استطعت حل اللغز أو استطاعته تلك الفتاة ( باتريشيا ) ..

لن أخبرك بنجاة أو هلاك ( راي دى موسكاس ) لأن هذا ليس من حقي .. فقط لو عاد لعالمكم فلسوف أخبرك لحظتها .. كما تعرف : ( على الرجل أن يقوم بما على الرجل أن يقوم به ) !

ضحكت كثيراً عندما قرأت رأيك فى ( باتريشيا ) .. فعلاً هى باردة مربية لكنها بريئة وعلى قدر مخيف من الذكاء .. أنت تعرف الآن أنه لم يكن لها دور فى اختفاء ( سكروج ) وإنما اختطفه النمل العملاق ..

لكن يجب أن تعرف أيها العزيز أن ( باتريشيا ) لم يكن لها وجود قط قبل هذا .. عندما أوجد فى مكان فبئى لخلق لنفسى تاريخاً حتى إن الناس يشعرون بأنهم يعرفوننى من دهور .. فجأة صار كل واحد فى البلدة يعرف الساقية ( باتريشيا ) ونشأتها وطباعها .. كلهم يذكرونها تلعب وهى طفلة وكلهم أحبها فى مراهقته برغم أنها لم توجد قط قبل شهرين !

لو بحثت بدقة عن العلامات الخمس فى ( باتريشيا ) لوجدتها ، لكنى لن أذكرها طبعاً .. أنت تعرفها ..

من السهل بالنسبة لى أن أخدع البشر ، فلما أعرف الكثير من الأشياء .. علم للحشرات العلى هذا مجرد جزء ضئيل مما أعرف ، ومن السهل أن أتكلم فيه بضع ساعات أمام مختص فيه ..

سوف نلتقى من جديد .. ربما .. هناك أشياء وأشياء يجب أن تعرفها عنى وعن ذلك الكون الغامض على الجانب الآخر من المحيط .. لكن - كما تقول - هذه قصة أخرى .

## بإخلاص :

أنت تعرف من ...



روايات تحبس الأنفاس  
من خروط القملوش والربعب والاثارة

روايات مصرية الجيب

1992-1993

الرجال الذين لم يهودوا كذلك ..

الهم في كل مكان للأسف هذه الأيام .. كل الرجال

الذين لم يهودوا كذلك الى درجة الانسحاب

الحقيقة هي أن تلحق عن رجال ظلموا كذلك ..

لكن ليس المجاز ما أعنيه .. أنا أتحدث حرفياً عن رجال

نعم یهود را گفت: ای

دِيمَا يَبْدُو الْأَمْرَ غَامِضًا .. تَكُنْكَ لِمَعْرِفِ الْغَمْرِ مَلْفَرَكًا

ثالثاً : بعد بفتح صفححات تصوير الامر واضحا ..

دھما مہلا گزٹ۔



و. طومارهای برنجی

## الرواية القادمة

## استثارة

بيت الاشباح

المؤسسة العربية الحديثة  
طبع في بيروت  
٩٠٠٠٠٠٠٠ - ٩٠٠٠٠٠٠٠  
٩٠٠٠٠٠٠٠ - ٩٠٠٠٠٠٠٠

الشيخ في شهر ٤٠٠  
وما يقابلته من الدول الامم  
في سائر الشهور الخمسة العظمى